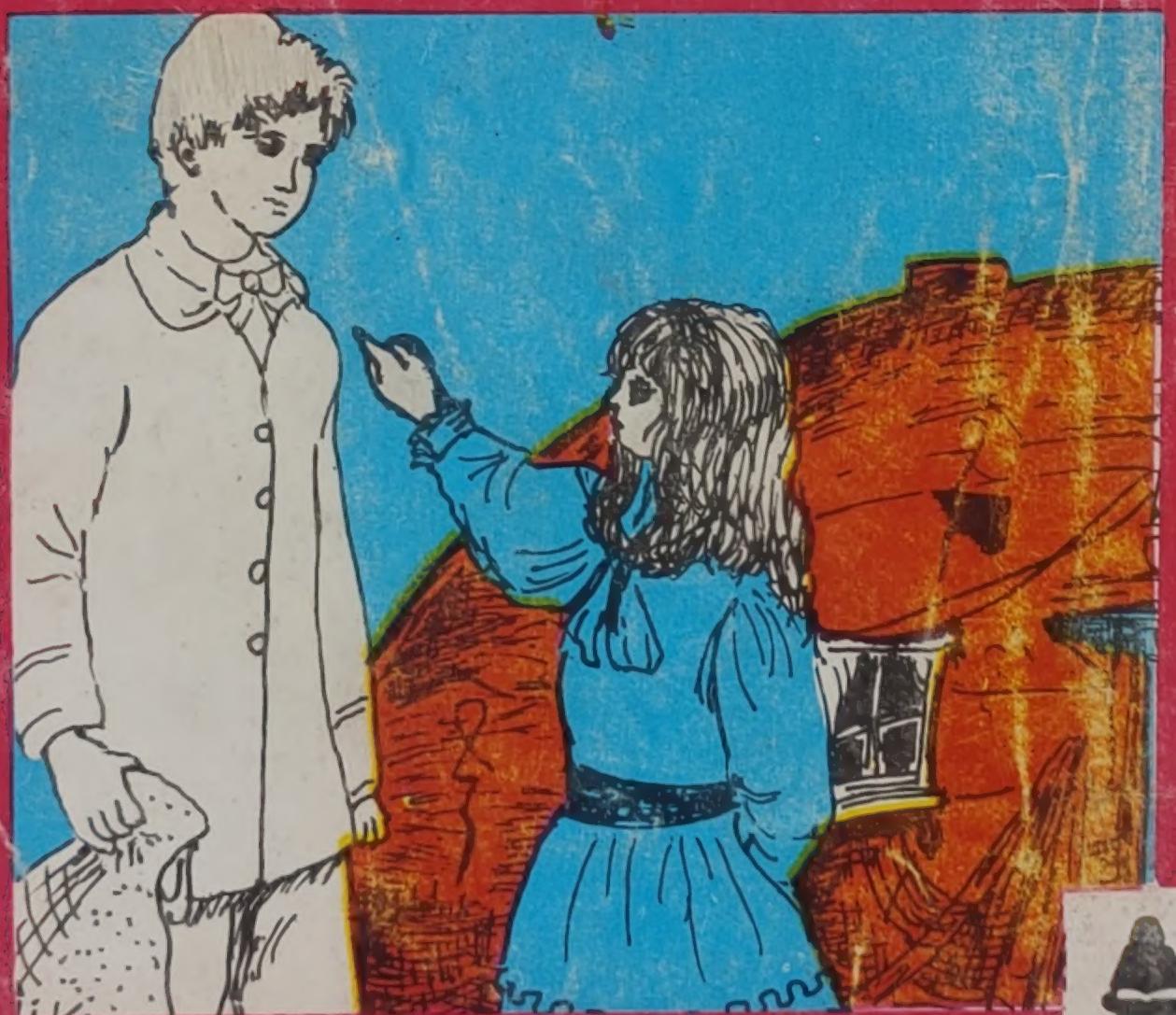


من روايات الأدب العالمي لأشهر المؤلفين

داقير كور فيلد

تأليف: تشارلس ديكنز

ترجمة: مختار السويفي



دافتيد كوبرفيلد

تأليف: تشارلز ديكنز

ترجمة: مختار السويفي

مراجعة: محمد العزب موسى

المؤلف

تتميز جميع أعمال شارلز ديكنز ، الأديب الانجليزي العظيم ، بحلوّة الأسلوب السهل الجذاب ، الذي يشد القارئ من بداية العمل حتى نهايته ، كما تتميز بالحبكة الروائية التي تجعل القارئ يحس بطعم « الحدوة » . ولهذا فقد اشتهر ديكنز بأنه الأديب الذي يحبه بسطاء العالم . ذلك لأن جميع أعماله الأدبية معروفة ومحبوبة لدى قراء الأدب في جميع أنحاء العالم ، بعد أن تمت ترجمتها إلى أكثر من خمسين لغة من اللغات التي تتكلمها الشعوب المختلفة .

ولد تشارلس ديكنز في « لاندبورت بورتسى » في إنجلترا سنة ١٨١٢ . . وعاش طفولة بائسة ، لأن أباًه كان يعمل في وظيفة متواضعة ويعلو أسرة كبيرة العدد .

ولهذا فقد اضطر لترك المدرسة وهو لم يزل صبياً صغيراً . . وألحوه بعمل شاق بأجر قليل حتى يشتراك في أعالة الأسرة .

وكانت تجارب هذه الطفولة الشقية ذات تأثير عظيم في نفسه ، وتركت انطباعات إنسانية عميقة في حسه ووجوده .

وقد كتب تشارلس ديكنز عن هذه الانطباعات التجارب المريمة المؤلمة التي مر بها أثناء طفولته . . في العديد من قصصه ورواياته التي الفها عن أبطال من الأطفال الصغار الذين عانوا الكثير من العذاب والضياع بسبب الظروف الاجتماعية الصعبة التي كانت سائدة في إنجلترا في عصره .

وتتجلى عظمته في أنه بالرغم من هذا الشقاء الذي كان يعانيه في طفولته ، فقد كان ينتهز أوقات فراغه من عمله الشاق ، وينكب على القراءة والاطلاع على الكتب .. كما كان يحرص على التجول وحيدا في الأحياء الفقيرة بمدينة لندن ، حيث يعيش الناس حياة بائسة ، خارجة على القانون في أغلب الأحوال .

وفي العديد من قصصه ورواياته ، وصف ديكنز هذه الأحياء الفقيرة بكل تفاصيلها وبكل المأساة التي كانت تدور فيها .

وعندما وصل إلى سن العشرين ، تمكنت الأسرة من الحاقه باحدى المدارس ليكمل تعليمه ..

وفي نفس الوقت كان يعمل مراسلا لاحدى الجرائد المحلية الصغيرة لقاء أجر متواضع قليل . وقد تفاني في هذا العمل الصحفي الذي كان بمثابة تمرين له على حرفة الأدب .

كذلك فقد أتاح له هذا العمل الصحفي أن يتأمل مستطلعا في أحوال الناس على مختلف مستوياتهم

الاجتماعية والأخلاقية ، فخرج بالعديد من التجارب الإنسانية التي وسعت من أفقه وحسه الأدبي .

وفي سن الرابعة والعشرين (سنة ١٨٣٦) أصدر شارلس ديكنز أولى رواياته الأدبية « مذكرات بيكونيك » . وقد لاقت هذه الرواية نجاحاً ساحقاً ، وجعلته من أكثر الأدباء الانجليز شعبية وشهرة .

ثم ازدادت شهرته في إنجلترا وخارج إنجلترا عندما صدرت رواياته العظيمة الأخرى تباعاً ..

ولقد حرصنا منذ بداية ظهور هذه السلسلة من « روائع الأدب العالمي للناشئين » أن نقدم لك يا عزيزي القارئ أعمال هذا الأديب العظيم الصادق الذي امتلا قلبه بالمشاعر الإنسانية ومواساة البائسين والمعذبين في الحياة ، والذي تتفجر رواياته بأسلوب سهل بسيط ، بكل ما في هذه الحياة من الم وأمل ..

وعلى هذا فاذا كنت تريد معرفة المزيد من المعلومات عن تاريخ حياة هذا الأديب العالمي الشهير .. وتريد في

الوقت نفسه أن تسقزد من الاستمتاع بأعماله . فتعال معنا إلى أعماله التي أصدرناها لك ضمن هذه السلسلة . وهي :

- أوليفر توبيست .
- الآمال الكبرى .
- حكاية مدینتين .
- دافيد كوبرفيلد .
- أوقات عصبية .
- مذكرات بيكون .

و قضى تشارلس ديكنز معظم حياته في كتابة المقالات وتأليف القصص والروايات والقاء المحاضرات وكان يدعو باستمرار في غالبية هذه الأعمال إلى ضرورة الاصلاح الاجتماعي ، والى تدعيم « المؤسسات الخيرية والصحية » ، التي ترعى الفقراء من الناس .

وأمن تشارلس ديكنز بأن جميع الأحوال السيئة

قابلة للإصلاح . ولهذا فقد سخر قلمه البليغ للدعوة الى تخلیص المجتمع البشري مما يحيط به من شرور وأوضاع اجتماعية غير عادلة .

وفى سنة ١٨٧٠ مات تشارلس ديكنز بعد أن ترك للإنسانية هذا الكنز الهائل من الأعمال الأدبية العظيمة .

« المترجم »

الجزء الأول

البيت

١ - ڪيف كان مولدي

اسمي ديفيد كوبريفيلد . . وهأنذا اكتب لكم قصة
حياتي . .

ولدت في بلاندرستون . وقد مات أبي قبل مولدي
بفترة قصيرة .

وفي احدى الأمسىات ، كانت أمي جالسة قرب
نار المدفأة ، وكانت حزينة على مصيرها ومصير طفلها
اليتيم البائس .

ولاحت أمامي مس بيتسى وهي تسير خارج سور

الحديقة . وكانت مس بيتسي تسير متمهلة تجاه باب البيت . وبدلا من أن تدق الجرس ، دست أنفها لتنظر إلى داخل البيت من خلال النافذة .

ومس بيتسي هي عمة أبي ، ولذلك فقد كانت تعتبر بالنسبة لى عمتى الكبرى . وكان اسمها الحقيقي مس بيتسي تروتوود . وكانت تعيش مع خادم واحد في كوخ متواضع جوار البحر . وكانت قد تزوجت من قبل ، ولكن زوجها كان رجلا سيئا ، لذلك فقد طرده .

وكانت عمتى على علاقة طيبة مع أبي . . ولكنها غضبت عليه حين تزوج أمي . وكانت عمتى تدعوها دائما باسم « اللعبة الغبية » . ولهذا السبب تشاجرت مع أبي ولم تلتقي به بعد ذلك أطلاقا .

وعندما رأت أمي مس بيتسي تروتوود وهي تطل من خارج النافذة ، قامت بسرعة وفتحت باب البيت ل تستقبلها .

– ألسنت أنت مسر كوبرفيلد ؟ .



٤٩

مس ترتوود .

فقالت أمي :

- نعم .. أنا هي .. تفضل بالدخول .

ودخلت مس بيتسي . وجلست السيدة معا . ثم
بدأت أمي في البكاء ، فاستفأطت مس بيتسي وقالت
لأمها :

- أوه .. أوه ! .. لاتفعل ذلك !

ولكن أمي استمرت في البكاء . وعندئذ وضعت
مس بيتسي يديها برفق حول وجه أمي ، وقالت لها
برفق :

- يبدو أنك ما زلت طفلة صغيرة .. يجب أن
تناولى بعض الشاي .. ما اسم البنت ..؟!

فقالت أمي :

- لا أعرف أن كنت حاملا في ذكر أم انشى ..

- أقصد المُنْتَ الخادمة التي تعمل عندك ..

- أه . خادمتى اسمها بيجوتى .

فcameت مس بيتسى باستدعاء الخادمة ، وطلبت منها احضار بعض الشاي . ثم التفت الى أمى وقالت لها :

- نعود الى الحديث عن الجفين الذى مازلت تحملينه . انى أرغب فى أن يكون انشى . ولابد أن يكون انشى . وأنا أطلب منك أن تطلقى عليها اسم « بيتسى تروتوود كوبريفيلد » . وأعدك بأن أكون صديقة لها . وعلى فكرة ، هل تعرفي شيئاً عن الطبخ وامساك الحسابات والاشراف على ادارة منزل !؟

قالت أمى :

- لا أعرف كثيراً عن ذلك . ولكنني أرغب في تعلم هذه الأشياء .

ثم شرعت أمى في البكاء مرة أخرى . قالت عمتى :

- كفى عن البكاء .. حتى لا تمرضى و حتى لا تتأثر
بمرضك الطفلة التي ستلديها .

وعندما أحضرت الخادمة بيجوتي الشاي ..
لاحظت أن أمي متعبة ، فذهبت على الفور لاحضار
الطبيب . وبمجرد وصول الطبيب ، وكان اسمه
مستر شيليب ، صعد على الفور إلى غرفة أمي .

ومرت عدة ساعات إلى أن ظهر الطبيب مسرة
أخرى نازلا على السلم . فأسرعت إليه عمتى وسالتنه في
لهفة :

- هاه يادكتور .. كيف حالها ؟

فقال الطبيب :

- ممز كوبرفيلد في حالة طيبة :

- ولكنني اسأل عن حال المولودة ..

وعندئذ قال الطبيب :

- آه .. لقد ولدت ذكرا !

ولم تتنطق عمتى بكلمة واحدة . ولكنها هبت واقفة
واسرعت بالخروج من البيت .. ولم تعد اليه بعد ذلك
أبدا .. وهكذا كان مولدي .. أنا دافيد كوبرفيلد .. !

٢ - وبدأت ادرك الاشياء

ومن الذكريات المبكرة التي مازلت اتذكرها وجه امي وشعرها الجميل . . . اما بيجوتي الخادمة فلا اذكر من ملامحها سوى عينيها السوداويتين وخدودها الحمراء مثل لون التفاح . . . وانكر المطبخ والدجاج الكثير الذي كان يجري في حوش البيت . وكانت الدجاجات تبدو لي في تلك الايام كما لو كانت اضخم مني . . .

ومازلت اذكر غرفة المعيشة والجالوس ، حيث كانت امي وبيجوتي تجلسان في كل مساء . . . ومازلت اذكر

كذلك منظر البيت من الخارج ، حيث كانت تبدو نوافذ غرفة النوم . . وكذلك اذكر منظر حديقة البيت والسور المرتفع الذي كان يحيط بها . وفي تلك الحديقة كانت هناك مجموعة من أشجار الفواكه . ومازالت أذكر كيف كانت أمي تقوم بجمع الثمار في سلة كانت تحملها .

وكنت أنا وأمي نخشى قليلاً من الخادمة بيعوتى وفي أحدى الأمسىات كنت جالساً مع بيعوتى في غرفة المعيشة بجوار المدفأة . . وكانت أقرأ لها أحد الكتب . . وكانت متعباً لدرجة أنني لم أعد قادراً على الاحتفاظ بعيني مفتوحتين . . ومع ذلك فقد كنتلاحظ ابرتها وهي تدخل في القماش وتخرج منه في حركات رتيبة . وتطلعت عندها إلى وجهها . . وكانت تبدو في نظري جميلة .

وسألتها فجأة :

- بيعوتى . . هل تزوجت من قبل ؟ . .

فرست بسرعة لفت انتباهى :

- لماذا يا دافيد .. وما الذى جعلك تفكك فى
موضوع الزواج ؟

فعاودت سؤالها من جديد :

- أقصد .. ألم تتزوجى من قبل ؟ .. فأنت
سيدة جميلة جدا .. أليس كذلك !؟

ومرت فترة صامت قصيرة ، وعاودت بيجوتي
الخياطة بابرتها وهى تقول :

- أنا جميلة !؟ .. لا يا عزيزى الصغير !

ولكنى تساءلت مرة أخرى :

- بيجوتي .. اذا كنت قد تزوجت رجلا ما ، ثم
مات هذا الرجل .. ألا يصبح فى مقدورك أن تتزوجى
رجل آخر .. أليس كذلك يا بيجوتي .. !؟

فقالت متربدة :

- بعض الناس يرغبون فى ذلك .. وبالنسبة لى
فاني لا أرى ضرورة لذلك .. ان وجهات نظر الناس
تختلف بالنسبة لهذا الموضوع .. !



٢٧

في طفولتى .

- وماهى وجة نظرك انت يا بيجوتي .. ؟

وتمهلت بيجوتي قليلا قبل ان ترد :

- وجة نظرى هي أن تستمر فيما كنت تقرأه ..

ولاحظت عندئذ أن صوتها كان يبدو غريبا . فنظرت اليها مستعطفا . وقلت :

- ألسن غاضبة مني يا بيجوتي .. ؟

فقمت على الفور ، وقبلت جبها وقالت :

- لا يا عزيزى .. ولكن أرغب في أن تسمعني الكثير عن تلك الأشياء التي كنت تقرأها لي ..

وعلى هذا ، فقد واصلت القراءة ..

وبعد فترة سمعنا جرس الباب ، فذهبنا لفتحه ..
كانت أمي تبدو في غاية الجمال ، وقد عادت إلى البيت
ومعها رجل كنت قد رأيته من قبل .. انه جنلمان
الذي أوصلها إلى البيت عندما خرجت من الكنيسة يوم
الأحد الماضي .. وكان اسمه : مسٹر مارستون ..

وانحنت أمى وقبلتني . وعندئذ قال الجنتلمن :

- يا عزيزى الصغير .. كم أنت محظوظ !

ثم وضع يده على رأسي ، فوضعت يدى على يده
وأزاحتها .

فقال الرجل وهو يقبل يد أمى :

- ان حبه لك لا يدهشنى !

ولكنى أصبت بالدهشة وغضبت من ذلك . ولكن
الرجل حياني قائلا ::

- تصبح على خير يا عزيزى الصغير !

فردلت تحيته ، ولكنى لم أسلم عليه يدا بيد .
وعندما استدار ليصرف التفت الى .. وكان يبدو
النسبة لى رجلا سيء المنظر . ولم أشعر نحوه بأى
حساس من الحب .

وذهبنا الى غرفة المعيشة . وقالت بي جوتسى التى
كانت تقف متقدبة فى وسط الغرفة :

- أرجو أن تكونى قد أمضيت أمسية طيبة يامسىز
كوبرفيلد .

فقالت أمى :

- شكرنا لك .. كانت أمسية طيبة جداً .. !

وقالت بييجوتى :

- ان رؤية الغرباء أمر يبعث على السرور فى
بعض الأحيان .

فقالت أمى بارتياح :

- تماماً !

وجلست على أحد المقاعد ، وسرعان ما استغرقت
في النوم . ولكنى سرعان ما تنبهت مستيقظاً مرة
أخرى . ورأيت أمى وبىيجوتى جالستين . ويدور بينهما
حديث متواصل .. وكانت عيونهما مغروقة بالدموع .
وكانت بييجوتى تقول :

- ان مستر دافيد كوبرفيلد لا يحب هذا الرجل !

فصاحت أمى :

- أوه .. انك تدفعينى الى الجنون .. كيف تجسرين على الحديث معى بمثل هذه القسوة ؟ .. انت تعرفين تماماً انى بدون أصدقاء یهتمون بي او أهتم بهم !

فقالت بيجوتي على الفور :

- هذا هو السبب فيما أحدثك فيه .. لا يجب ان تفعلى ذلك .. لا يجب .. !

- وماذا أفعل اذا كان البعض يحبوننى .. انى لا استطيع أن أصده .. ولا استطيع أن أجعل من نفسي امرأة قبيحة .. !

واتجهت أمى نحوى وهى تقول بعطف :

- عزيزى دافيد .. انها تقول انى لا أحبك .. !

فصاحت بيجوتي قائلة :

- انى لم أقل ذلك اطلاقاً !

- لا .. بل قلته .. قلته .. فهل أنا أم سيئة
بالنسبة لك يا دافيد ؟ .. هل أنا قاسية عليك أو غير
شفوقة بك .. أني أحبك يادافيد .. أليس كذلك ١٩ ..

ثم بدأنا نبكي جمِيعا .. وذهبت إلى السرير
وبدأت استغرق في النوم وأنا أحس بأن عيني مبللتان
بالدموع .

وفي يوم الأحد التالي ، خرجت أمي من الكنيسة
ومعها الجنتلمن ، وأخذنا يتمشيان سويا صوب البيت .
وكان الرجل يريد أن يرى زهورنا المزروعة في حديقة
البيت ، وطلب من أمي مستأذنا في أن يقطف زهرة .

وعاد الرجل إلى بيتنا بعد ذلك مرات ومرات . وقد
اعتدت على رؤيته ، ولكن مع ذلك لم أكن أحبه .

وفي صباح أحد الأيام ، كنت مع أمي في حديقة
البيت حين وصل مستر مارستون راكبا على حصان .
وقال انه ينوي زيارة اصدقاء له موجودين في مركب
شراعي بمنطقة اوستنفورد . وارسلتني أمي إلى بيجوتي
بالدور العلوي .. ومن هناك كانت بيجوتي تنظر من

النافذة ، ورأت أمي ومعها الجنتلمن وهو يسيران في الطريق . . . وغضبت بيجونى من هذا المنظر ، فأخذت تمشط شعرى بعنف وبطريقة المتنى . .

وفي اليوم التالي ، او ربما بعد ذلك قليلا ..
طلبت مني بيجوتي ان اذهب معها لزيارة أخيها ..
وكانت امى انذ خارج البيت بينما كنت جالسا مع
بيجوتى فى غرفة المعيشة بجوار المدفأة ..

نظرت بييجوتي الى وجهي عدة مرات . وكانت تفتح فمها كما لو كانت ترييد ان تتكلم ، ولكنها كانت تغلقها على الفور وتظل صامتة . ومع ذلك فقد قالت اخيرا :

الثانية

- مل اخوک رجل طیب پابیجوتی .. .

- نعم . . انه رجل طيب . . وفي يارماوث سترى
البحر والراكب والسفن والصيادين والرمال . . وهناك
ولد صغير اسمه هام يمكنك ان تلعب معه !

وتساءلت :

- ولكن ماذا ستقول أمي ؟ . .

- أوه . . ستدعنا نذهب الى هناك . . وسأطلب
منها ذلك بمجرد عودتها الى البيت . . انها ستبقى مع
مسر جرار ولن تكون وحدها . .

وهكذا تم ترتيب كل شيء . . ومرت أيام قليلة قبل
أن يحل موعد مغادرتي للبيت . . وركبت أنا وبيجوتي
عربة صغيرة مخصصة لنقل المسافرين وامتعتهم . .

ومازلت أذكر حتى الآن كم كنت شغوفا بمعادرة
البيت . . وأحسست ساعتئذ كما لو كنت اغادره الى
الأبد . .

واذكر تماما كيف غمرتني أمي بالقبلات عند بوابة
البيت . . وبدأت أبكي . . وبدأت أمي تبكي أيضا . .

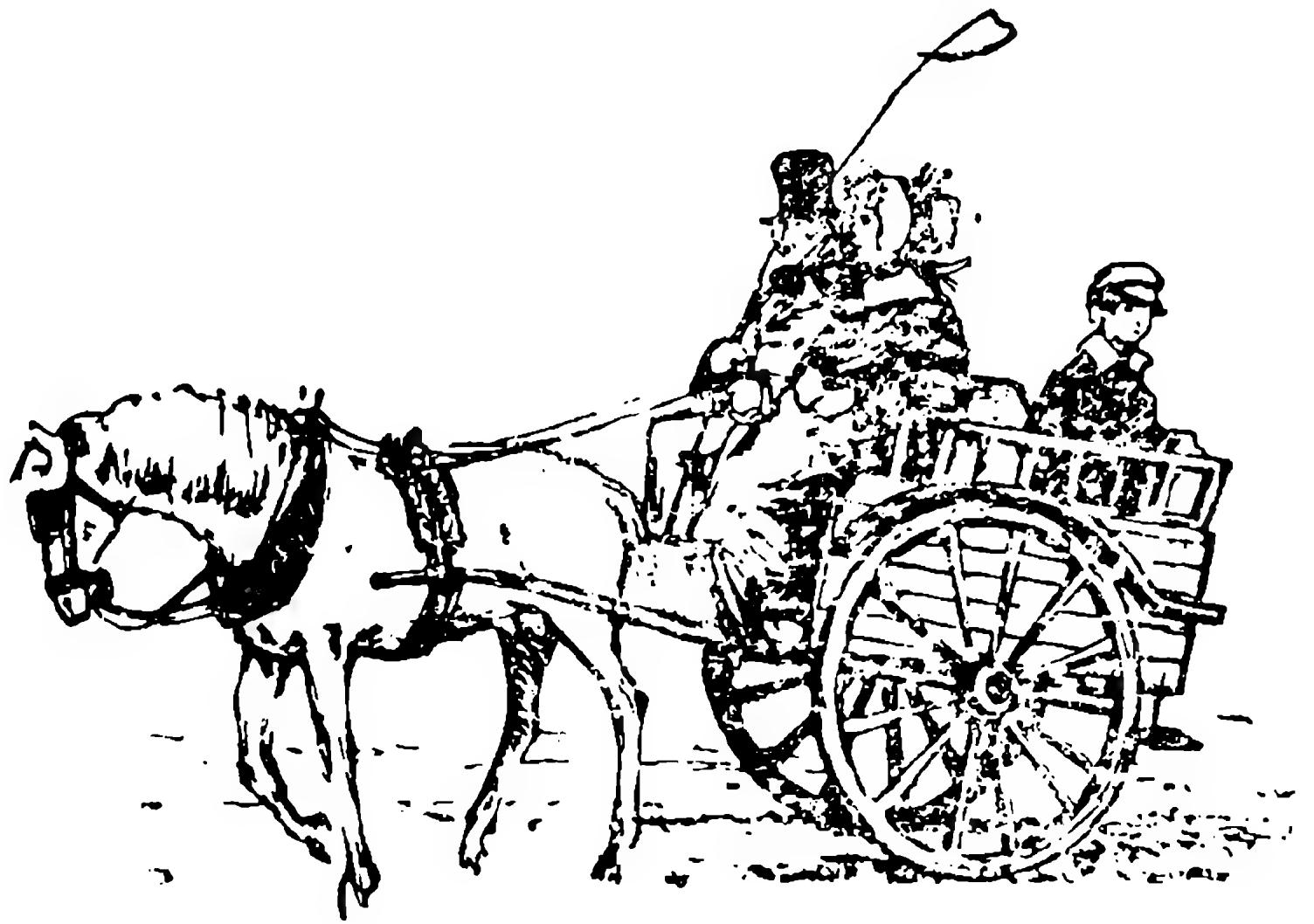
وعندما تحركت العربة خارجة من البوابة . . . جرت
أمي خلفها ، وطلبت من السائق أن يتوقف لتمكن من
تقبيلى مرة أخرى . . .

ونظرت خلفي .. فرأيت أنها مازالت واقفة على الطريق .. ثم رأيت مستر مارديسون وهو قادم نحوها . وكان يبدو غاضبا عليها بسبب بكتئها على فراقي .. !

٣ - زيارۃ لمستر بیجوتی

كان الحصان الذى يجر العربة أکسل حصان فى العالم ، فقد كان يسير ببطء شديد وقد أحنى رأسه الى أسفل . وعلى طول الطريق كانت العربة تدخل الى بعض الحواري الخبيثة لتسلم صندوقا في أحد المنازل ، او تسلم سريرا في منزل آخر .

و كانت الخادمة بیجوتی تحمل على ركبتيها ربطة بها الكثير من انواع الطعام .. وقد أكلنا حتى شبعنا من الأكل ، و نمنا حتى شبعنا من النوم . ولكن الرحالة



عربة السفر

كانت طويلاً وشاقةً ومجهدةً . . . وكم فرحت حين وصلنا
إلى يارماوث .

كانت ضواحي المدينة أراضي واسعة منبسطة . .
وكان البحر يبدو واضحاً من خلال صفوف البيوت
المتناشرة هنا وهناك وفي كل مكان ، لدرجة يصعب
معها معرفة أين تنتهي المدينة ، وأين يبدأ البحر . .

وسارت العربية عبر شارع تفوح منه رائحة السمك ،
ثم توقفت قرب حانة . . وعندئذ صاحت بييجوتي :

- هاهو هام . . كم أصبح كبيراً هذا الفتى . . !
وبالفعل كان الفتى يافعاً ضخماً ، تطول قامته إلى
نحو ستة أقدام ، ولكن وجهه كان يبدو كوجه طفل
تعلوه خصلات من شعر مجعد .

كان هام يقف خارج الحانة متظراً وصولنا .
وسرعان ما حملني على ظهره وحمل صندوقى تحت
ذراعه . . وحملت بييجوتي صندوقاً آخر . . وسرنا عبر
عدة حارات أرضها مغطاة بالرمال . . وتجاوزنا البيوت

التي يسكنها بناؤو السفن والراكب .. ثم البيوت التي يسكنها صناع الجبال .. ثم جميع البيوت وال محلات الأخرى التي يسكنها أو يعمل بها مختلف أنواع الصناع والحرفيين الذين يعملون في مختلف الأعمال والصناعات المتعلقة بالسفن .. وأخيرا وصلنا إلى مكان واسع مفتوح ، أرضه مغطاة بالرمال .

وهنا قال هام :

- هاهو بيتنا يا دافيد !

ونظرت إلى مختلف أركان المكان .. ولكنني لم أر بيئا على الإطلاق .. ولم يكن هناك سوى مركب كبير أسود اللون ، تطل من أعلىه أنبوبة من الحديد يخرج منها الدخان .. وفيما عدا ذلك لم يكن هناك أي نوع من أنواع البيوت في ذلك المكان . فتساءلت مدهشا :

- هل تقصد هذا الشيء الذي يبدو كما لو كان قاربا !

وقال هام :

- نعم . . . هذا بيتنا ! . . .

لقد سرت كثيرا من منظر هذا البيت العجيب من الخارج . فقد كان الباب يبدو مشقوقا في جدار القارب . كما شقت أيضا بعض فتحات تستعمل كنوافذ صفيرة في كل من جانبي القارب . وكان أعلاه مغطى بسقف من الخشب . . .

وازداد سروري حين تأكّدت من أن هذا البيت العجيب كان قاربا حقيقة كثيرا ما كان يمخر عباب البحر ، ولم يقصد بناؤوه أن يستعمل كبيت في أي وقت من الأوقات . . . ومع ذلك فكم كان ظريفا أن أعيش في قارب مرتكز على الأرض وغير طاف على سطح المياه . . .

دخلنا البيت ، وكان نظيفا جدا من الداخل . . . كانت هناك منضدة وساعة كبيرة معلقة على الجدار وبجوارها بعض الرسوم والصور . وكانت هناك مجموعة من المقاعد ومن الصناديق المستخدمة كمقاعد .

ثم فتحت بيحوتى بابا صغيرا يؤدي إلى حجرة

صغيرة خصمت لنومى .. كانت حجرة لطيفة تقع
بمؤخرة القارب .. حوائطها بيضاء .. وفيها مراة
محاطة باطار من أصداف الواقع .

وكانت رائحة السمك تملأ هواء البيت كله .
وأخبرتني بيجوتي أن أخاها يعمل في صيد الواقع .

وقد استقبلتنا بداخل البيت سيدة في غاية الأدب
اسمها مسز جاميدج .. كما كانت هناك بنت صغيرة
اسمها أميلي .. فرت هاربة واختبات عندما رأتني .

وتناولنا الطعام .. وكان سماكا !!

ثم ظهر بعد ذلك رجل له شعر كثيف ولكن اللون
يغطي رأسه وفوديه وخديه وذقنه .. وقام الرجل
بتقبيل بيجوتي بحرارة .. فقد كان أخاها يامستر
بيجوتي .

كان رجلا طيبا .. وقال لي بصوت طيب :

- هرحا بك عندنا يامستر دافيد .. انى فخور
بزيارتكم لنا .. وأرجو أن تكون سعيدا معها (وأشار

الى مسر جاميدج) . . . ومع هام . . . ومع اميلى
الصغيرة !

وبعد ذلك تركنا وذهب ليغتسل . . . وعندما عاد ،
كان وجهه اكثر احمرارا . . . مثل لون القوقة الذى
يتحول الى اللون الاحمر حين تغمر فى الماء .

وفي المساء جلسنا جميعا جوار المدفأة . . . وعلمت
أن هام ليس ابنا لستر بييجوتى ، ولكنه ابن شقيقه الذى
مات غريقا فى البحر . . . كما علمت ان اميلى الصغيرة
بنت صهر مستر بييجوتى الذى مات ايضا . . . اما مسر
جاميدج فقد كانت ارملة لصديقه مستر جاميدج الذى
كان يعمل معه فى نفس القارب ، ولكنه غرق فى البحر
منذ فترة طويلة ، ولم يعد لمسر جاميدج اي مأوى
سوى بيت صديق زوجها المستر بييجوتى ، فعاشت مفه
فى نفس البيت .

وعندما توجهت للنوم . . . كنت اسمع صوت الرياح
مختلطا بصوت امواج البحر . . . وحلمت بان هذا



٤٣

مستر بیجوٹی •

البيت القارب أخذ يشق طريقه في البحر الواسع ..
وأن مستر بيجوتى كان القبطان !

وفي صباح اليوم التالى خرجت لاتمشى على
الشاطئ .. وكانت مع اميلى . وسالتها :

ـ اعتقد أنك تحبين البحر ..؟ ..

فأجابت على الفور :

ـ لا .. انى أخاف منه .. لقد رأيته وهو يحطم
قاربا كبيرا إلى قطع صغيرة .. انه جبار وقاس على
رجالنا ..!

وظللت نسير سويا إلى أن وصلنا إلى رصيف
ممتد كاللسان بداخل البحر مخصص لرسو السفن
والقوارب الكبيرة .. وظللت اميلى تسير ودهسا
فوق هذا اللسان حتى وصلت إلى حافته النهاية عند
المياه العميقه .. ثم أخذت تجري عائدة .. فقلت لها
مندهشا :

٠٠ - لقد قلت لى منذ لحظات انك تخافين البحر
وهأنذا أراك لاتخافين منه ٠٠

فقالت أميلي :

- انى اخاف منه عندما تهب العواصف ٠٠ ولا
اخاف منه عندما يكون هادئا ٠٠ مثل حالته الان ٠٠

لذلك فقد ضحكت من خوفى عليها حين كانت عند
حافة الرصيف عند المياه العميقه ٠٠ ومع ذلك فقد
شعرت فى بعض الاوقات فى حياتى المستقبلة التى
عشتها فيما بعد ، انه كان من الأفضل لو انها قد
سقطت فى البحر فى تلك المرة ٠

لقد أحببت أميلي الصغيرة ٠٠ كانت مجرد طفلة ٠٠
وكلت مجرد ولد صغير ٠٠ ولكن هناك شيئاً فى غاية
الجمال ينبعق دائماً من ذلك الحب النقي البسيط الذى
يربط أحياناً بين الأطفال الصغار ٠

كنا نتمشى دائماً على رمال شاطئ يارماوث ٠٠
وكان نقضى هناك الساعات تلو الساعات ٠ وقد لاحظت

بيجوتى ومسز جاميدج مدى سعادتنا .. وتهامستا
عليينا :

- أليس جميلين وهما يلعبان معا .. ؟ !

وحين كان مستر بيجوتى يرانا معا .. أنا
وأميلى .. كان يقسم خلف غليونه الموضوع فى فمه .

وقد لاحظت أن مسز جاميدج لم تكن سعيدة فى
كل الأحيان .. فعندما ذهب مستر بيجوتى فى احدى
الامسيات ليسهر مع بعض اصدقائه ، اعتلى مزاج
مستر جاميدج واخذت تقول :

- انى وحيدة .. وكل الاشياء ضدى ..

ثم أخذت تشكو من شدة البرد . فقالت لها بيجوتى :

- ان البرد كان شديدا طوال اليوم .. لقد شعرنا
كلنا به ..

فقالت مسز جاميدج :

- ولكنى أشعر بهذا البرد الشديد أكثر من كل
الناس !



و عندما تناولنا طعام العشاء في تلك الأمسية . .
كانت الأسماك صغيرة ومملوءة بالشوك ، وأغلبها كان
قد احترق أثناء طهيه . وجلسنا صامتين يلفنا شعور
شبيه بالحزن . أما مسر جاميدج فقد انخرطت في
البكاء وهي تقول :

- انى اشعر بالحزن أكثر منكم جميعا ! . . .

و عندما عاد مستر بيجوتى الى البيت في الساعة
النinthة مساء . . . كانت مسر جاميدج لم تزل تبكي
و هي جالسة في أحد أركان البيت اندھش مستر بيجوتى
وسألها :

- ماذا في الأمر . . . ولماذا تبكي هكذا . . . كوني
مبتهجة ! . . .

فقالت :

- لقد ذهبت لتسهر خارج البيت . . . و انى اسفة
لذلك . . . وأشعر باني السبب الذي دفعك الى الخروج
من بيتك ! . . .

فقال مستر بيجوتى ضاحكا :

– تقولين انك السبب الذى دفعنى للخروج ؟ ..
لم يكن هناك سبب يدفعنى للخروج سوى رغبتك فى
فعل ذلك .

فقالت مسر جاميدج وهى تذهب استعدادا للنوم :

– انى وحيدة .. ولا يحبنى احد .. وأشعر
بالأشياء أكثر مما يشعر بها الناس الآخرون .. لقد
فشللت فى جعل نفسي مثلاً اريد ان تكون .. وفشللت
فى جعل هذا البيت مريحا كما يجب .. !

وعندئذ قالت لى بيجوتى :

– انها تفكير فى الرجل القديم .

فتساءلت مذهشة :

– ومن هو هذا الرجل القديم ؟ .. !

فقالت ببساطة :

– زوجها الذى مات !

ومن الأسبوعان ، وانتهت زيارتي ، وحلت ساعة الرحيل .. وشعرت بالحزن لاضطرارى الى الافتراق عن أميلى الصغيرة ..

وعندما كنا نتوجه الى المكان الذى ستقوم منه عربة السفر ، سرت أنا وأميلى ذراعا فى ذراع .. وعندما تحركت العربة شعرت بفراغ فى قلبي .. برغم أنى كنت مسورة بأنى أصبحت فى طريق العودة الى أمى .
وأعلنت سروري هذا لبيجوتى .. ولكنها لم تكن مسورة لذلك ، بل كانت فى منتهى الحزن !

وأخيرا وصلنا الى البيت .. ومازالت الى الآن أتذكر ذلك الجو البارد الذى كان يلفه ، وتلك السحابات الداكنة المحملة بالأمطار التى كانت تعلوه ..

وفتح الباب .. فاندفعت جاريا صوبه والفرح يغمرنى . ولكنى فوجئت بوجود خادمة غريبة لا أعرفها . فسألت بيجوتى :

ـ ما هذا يا بيجوتى .. ألم تعد أمى الى البيت بعد ؟ .. !

فقالت بيوجوتي متنهدة وبتردد :

- نعم .. لقد عادت يا دافيد .. ولكن انتظر ..

فقلت وأنا أشعر باضطراب شديد :

- ماذا حدث ؟ .. لماذا لم تحضر أمي ل تستقبلنى عند باب البيت ؟ .. هل ماتت ؟ .. لا .. لا يمكن ان تكون قد ماتت .. أليس كذلك ؟ !

وقالت بيوجوتي :

- لا .. لم تمت .. وكان يجب على أن أخبرك بهذا الأمر من قبل .. لقد أصبح لك الآن أب جديد ! .. تعال لتراءاه ..

وشحب لون وجهى .. وهي تتوجه بي صوب غرفة المعيشة .. وهناك تركتني ..

وعند أحد جانبي المدفأة كانت تجلس أمى .. وعند الجانب الآخر ، كان يجلس مستر مارستون .. !

٤ - وبدأت متاعبى

كانوا قد نقلوا حجرة نومى الى حجرة اخرى ..
 وبمجرد ان رقدت على سريري ، سحبت الغطاء فوق
 رأسي ، واستغرقت في البكاء حتى اخذنى النوم ..

واستيقظت على صوت يقول : هامو !! .. وشعرت
 بيد تكشف الغطاء من فوق رأسي . ورأيت امى
 وبيجوتى وقد جاءتا لترىاني .. وقالت امى :

- دافيد .. ما الحكاية .. ؟

فقلت وانا ادير وجهي عنها :

- لا شيء .. !

والتفت امي نحو بيجوتي وقالت لها بحده :

- انت التي افسدته .. لقد حدثه بكلام ضدي ..
اوه يا دافيد .. ايها الولد السيء .. اوه يا بيجوتي ..
ايتها المرأة السيئة .. هل اواجه كل متابع ومصاعب
العالم مجرد انى تزوجت .. اليك من حقى ان اكون
سعيدة !! ..

وهذا شعرت بيد تهزنى .. لم تكن يد امي ولا يد
بيجوتي .. كانت يد مستر مارستون الذى كان يقول
لامى فى نفس الوقت :

- ما هذا يا عزيزتى كلارا ؟ .. هل نسيت ماقلته
لك ؟ .. يجب ان تكونى حازمة !!

فقالت امي كما لو كانت تعذر :

- انا آسفة يا ادوارد .. يصعب على ان اكون
حازمة !

فهمس فى اذنها ببعض كلمات .. وقد عرفت فيما

بعد أنه مسيطر على أمي تماماً ويستطيع أن يجعلها تفعل أي شيء يرغب فيه . وقال لأمي بحزم :

ـ انزلني يا عزيزتي إلى الدور الأسفل .. ودعيني أنا ودافيد لكي نتفاهم سوياً ..

وعندما خرجت أمي وبيجوتى من الحجرة ، قال لي مستر مارستون :

ـ دافيد .. هل تعلم كيف أرضن حساناً .. أو كيف أجعل كلباً يطيعنى .. ؟ !

ـ لا .. لا أعرف !

ـ أني أضربه .. أني أقول لنفسي : سوف انتصر على هذا الحيوان .. سوف أضربه .. وأضرب بشدة كل جزء في جسده .. هل تفهم ما أقوله لك .. نعم .. يبدو أنك قد فهمت .. هيا .. أغسل وجهك وانزل معى إلى الدور الأسفل .. !

وعندما وصلنا إلى غرفة المعيشة بالدور الأسفل ، قال مستر مارستون لأمي :

- كلارا يا عزيزتي .. لن تشعرى بالمتاعب التى يسببها لك هذا الولد مرة أخرى .. !

وبعد أن تناولنا طعام العشاء فى ذلك اليوم ، توقفت احدى العربات جوار باب بيتنا .. ونزلت منها مس ماردستون .. أخت مستر ماردستون .. وكانت تحمل معها صندوقين أسودين لهما مقابض حديدية ، وتضع نقودها فى حقيبة صغيرة مصنوعة من الحديد ..
لقد كانت امرأة حديدية !!

نظرت الى شذرا .. وقالت وهي تسلم على بيدها :

- انى لا أحب معظم الأولاد ..

وقال مستر ماردستون :

- هذا ولد عديم الأخلاق !

وفي صباح اليوم التالى تجمعنا جميعا حول مائدة الافطار .. وسمعت مس ماردستون تقول لأمى :

- والآن ياكلا라 .. لقد جئت لمساعدتك .. انك جميلة جدا .. وليس لديك أية فكرة عما استطيع ان

أعمله من أجلك .. و إذا اعطيتني جميع مقاييس البيت .
فسوف أستطيع أن أتدبر جميع شئون هذا البيت من
الآن فصاعدا ..

وعلى الفور بدأت أمي في البكاء .. فقال لها
مستور هارديستون :

- كلارا ! .. أني مذهلة لذلك .. !

فقالت أمي وهي تحاول أن تكفكف دمعها :

- إنك تتحدث عن « الحزم » وعن « الانضباط » ..
ولكنك تتناقض مع نفسك .. من المؤلم جداً أن أكون
في « بيتي » ، ولا ... ولا ...

فقطعها على الفور :

- « بيتي » ! .. هل قلت « بيتي » ؟ .. !

فقالت أمي مستدركة وقد بدا عليها الخوف :

- أقصد « بيتنا » .. من المؤلم جداً أن أبدو غير
قادرة على القيام بالشراف على إدارة بيتنا .. أو

عاجزة عن القيام بأعمال هذا البيت . . وانى على يقين
من انى كنت أدير هذا البيت ادارة حسنة قبل ان
تزوج . . اسئل بيجرتى . .

وهنا قالت اخته مس ماردستون بحزن :

- ادوارد . . سارحل غدا !

فرد عليها اخوها بحزن اكثر :

- مس جين ماردستون . . الزمن الصمت !!

والتفت الى امى وقال لها :

- كلارا . . عندما تزوجتك كنت أمل فى أن أمنحك
القدرة على الحزن والانضباط . . لأنك تحتاجين الى
ذلك . . وعندما تعطفت اختي جين ماردستون وجسانت
لتساعدنى في ذلك . . فقد كنت أتوقع أن تشكريها على
هذا العطف . . أما هذا الكلام الذى تقولينه . . فانه
يسبب ألمى ويغير مشاعرى . .

فقالت امى وهي تبكي :

- أوه .. لا تقل مثل ذلك .. انى شاكرة لها ..
ودعنا نصبح أصدقاء .. انى لا أستطيع ان أعيش
بین ناس لا يعطفون على ..

وعندئذ التفت مستر ماردستون الى وقال :

- دافيد .. هذا كلام لا يناسب .. غادر الغرفة
فورا .. !

واغرورقت عيناي بالدموع لدرجة كنت لا استطيع
معها رؤية الباب ..

وهكذا تولت مس ماردستون كل شئون البيت ..
واذا حدث ان نطقت امى بكلمة او ابدت اية فكرة او
ملاحظة ، فان مس ماردستون كانت تفتح حقيبتها
الحديدية على الفور ، وتبعد كما لو كانت ستعيد
المفاتيح .. وعندئذ كانت امى تخاف وتلزم الصمت ..

وكان من المفروض ان تقوم امى باعطاءى
الدروس .. ولكن مستر ماردستون واخته يحضران
دائما ساعة الدرس .. وينتهزان هذه الفرصة لتلقين
امى دروسا فى كيفية الحزم والانضباط ..



في الماضي .. أى قبل أن تتزوج أمي .. كنت أتمتع بأوقات الدروس وأتعلمها بسهولة .. ولكن هذه الدروس أصبحت الآن - بحضور مستر مارستون وأخته - شيئاً يبعث الخوف وال الألم .. أصبحت محاكمة يومية محرنة لي ولأمي ..

وفي أحدى المرات .. تقدمت إلى أمي وعسى الكتاب .. وسلمته لها مفتوحاً لكي ترى كيف حفظت الدرس .. وبدأت في تلاوة الدرس بسرعة قبل أن يطير من ذهني .. ولكنني كنت مضطرباً بسبب حضور مستر مارستون وأخته ، لذلك فقد أخطأت في كلمة .. وعندئذ نظرت إلى مستر مارستون شذراً فأخذت في كلمتين .. فنظرت إلى اخته مس مارستون شذراً فنسخت على الفور ست أو سبع كلمات .. وكانت أمي تحاول أن تساعدني ولكنها لم تجسر على فعل ذلك .. وقالت لي :

- أوه يادأفيد ..

وهذا تدخل مستر مارستون قائلالها :

- كلارا .. لابد أن تكوني حازمة ومنضبطة مع

الولد .. لا تقولى له : أوه يادا فيد .. بل انظري
للموضوع مكذا : هل حفظ هذا الولد درسه أم لا .. ؟

وقالت مس مارديستون على الفور :

- لا .. لم يحفظ درسه .

بينما قالت أمي :

- أخشى ألا يكون قد حفظه ..

فقالت مس مارديستون :

- اذن اعiedi اليه الكتاب ، وقولى له أن يحفظ
درسه جيدا .

فقالت أمي بارتياح :

- هذا ما كنت أنوى أن أعمله بالفعل .. تعال
يادا فيد .. خذ الكتاب وحاول مرة ثانية .. ولا تكن
غبيا .. !

وحاولت مرة أخرى .. ولكن فشلت فعمل مستر
مارديستون حوكمة تدل على نفاد الصبر وكذلك فعلت
أخته .. بينما كانت أمي تحاول أن تحرك شفتيها

لتساعدنى . فشخطت فيها مس مارستون صائحة :

- كلارا .. !!

وعندئذ نهض مستر مارستون من مقعده .. وأخذ الكتاب .. وضربني به على رأسي .. وألقى بي خارج الغرفة ..

هكذا كنت أتلقى دروسى يوماً وراء يوم .. وحتى عندما كنت أحفظ الدروس جيداً .. كان مستر مارستون وأخته يكلفانى بمزيد من الواجبات .. وكانا لا يطيقان أن يريانى غير مكلف بواجب ..

وهكذا تبددت سعادتى .. وأصبحت كثير الصمت .. ومع ذلك فقد كانت سعادتى الوحيدة فى الأوقات التى اقضيها متفحصا الكتب التى تركها أبي ، والتى عثرت عليها فى حجرة مجاورة لحجرتى .. عثرت على « روبيسون كروزو » وعلى كتب الرحلات والعديد من الكتب الأخرى .. وكانت هذه الأوقات هى العزاء الوحيد الذى يساعدنى فى الهروب من شقائى وتعاستى ..

٥ - وضربي

ذات صباح ، توجهت الى غرفة المعيشة ومعي كتاب الدروس .. وكانت امى تبدو قلقة .. وكانت ماردستون تبدو حازمة .. أما مستر ماردستون فكان يمسك في يده عصا غليظة .

والتقت مستر ماردستون الى امى وقال لها :
- لا تهتمي كثيرا بهذا الأمر ياكلارا .. فأنا نفسي ضربت كثيرا عندما كنت في مثل سنه ..
وقالت ماردستون مؤمنة على كلامه :
- نعم .. هذا صحيح ..

فـسـالـتـهـاـ اـمـيـ :

- ولكن هل تعتقدين أن الضرب قد أصلح
ادوارد ٠٠١٩

فردـتـ عـلـيـهـاـ فـوـرـاـزـ

- وهـلـ تـعـقـدـيـنـ أـنـ الضـبـرـ كـانـ يـؤـلـمـهـ ١٩٠٠

والتـفـتـ إـلـىـ مـسـتـرـ مـارـدـسـتـونـ وـقـالـ لـىـ وـمـوـ يـمـسـكـ
بـالـعـصـاـ :

- والآن يـادـافـيدـ ٠٠ يـجـبـ أـنـ تـهـتمـ بـدـرـوـسـكـ بـقـدـرـ
أـكـثـرـ مـنـ الـمـعـتـادـ !

وـفـيـ الـحـقـيقـةـ ٠٠ فـقـدـ أـصـبـحـتـ كـارـهـاـ لـاجـبارـيـ عـلـىـ
تـلـقـىـ دـرـوـسـيـ بـتـلـكـ الـطـرـقـ المـرـعـبـةـ ٠٠ وـكـانـتـ حـالـتـىـ
تـزـدـادـ سـوـءـاـ ٠٠ وـأـصـبـحـتـ غـيرـ قـادـرـ عـلـىـ التـذـكـرـ ٠٠
وـلـاحـظـتـ أـنـ اـمـيـ قـدـ بـدـأـتـ تـبـكـىـ ،ـ فـنـظـرـتـ إـلـيـهـاـ مـسـ
مـارـدـسـتـونـ وـشـفـطـتـ فـيـهـاـ :

- كـلـارـاـ ٠١

فقالت أمي كما لو كانت تبرو موقفها :

- يبدو أنني لست على مايرام هذا اليوم .. !

فرد عليها مستر ماردستون قائلاً :

- كلارا .. يبدو أنك لست حازمة بقدر كافٍ لكى تتحملى المتاعب التي يسببها لك هذا الولد ..

والتفت إلى وقال :

- ديفيد .. لابد أن تصعد معنى إلى الدور العلوى ..

وعندما كان يقودنى خارج باب الغرفة ، اندفعت أمى نحوى . ولكن مس ماردستون أمسكت بها وهددتها قائلة :

- كلارا .. كم أنت غبية !

وسمعت أمى وهي تبكي بشدة بينما كنت أصعد إلى الدور العلوى مع مستر ماردستون . وعندئذ توسلت إليه وأنا أبكي :

ـ

- أرجوك يا سيدى .. اتوسل اليك الا تضربي ..
لقد بذلت كل جهدى فى حفظ دروسى .. ولكنى افقد
القدرة على التعلم عندما تكون انت ومس ماردىستون
بالقرب منى !

وفجأة ، أهلك برأسى ووضعها تحت ذراعه ..
فاضطررت الى أن أغضن يده .. وعندئذ بدأ يضربي
ضرباً مبرحاً كما لو كان يريد أن يقتلنى .. وكانت
هناك ضجة كبيرة .. فكلما استمر فى ضربى .. كلما
كنت أصرخ باعلى صوتي .. وبرغم كل هذه الضجة ،
سمعت أقدام أمى وبيجوتى وهما تصعدان لدرجات السلم
وكانتا تبكيان وتصرخان بشدة .

وعندئذ توقف مسٹر ماردىستون عن الضرب ..
وخرج من الغرفة ، وأغلق على بابها ..

وبعد فترة ، بدأت أمى .. وأخذت اتصنن ، فلم
أسمع في البيت صوتاً .. ونظرت الى وجهى في
المراة .. كان أحمر ومتورماً فشعرت بالخوف ..

وازداد احساسى بسوء حالنى .. واعتقدت انى قد
ارتكبت شيئا فظيعا .. واخذت افكر فيما ياترى
سيفعلونه بي .. هل سيرسلونى الى السجن ؟!

وشعرت بباب الغرفة وهو يفتح .. ودخلت مس
مارستون .. ووضعت على المائدة بعض الخبز وقليلا
من اللبن .. ونظرت الى بعزم .. ثم خرجت وأغلقت
الباب مرة اخرى ..

٦ - وأرسلوني الى المدرسة

واستيقظت صباح اليوم التالي نشطا وسعیدا ..
ولكنى سرعان ماتذکرت تلك التجربة المؤلمة التي
عانيتها ومازالت أعاينها .. وخيل الى أنهم ينون
شنقى .. او يفعلون بي أشياء اخرى لا اعرفها ..

وظللت سجينًا في تلك الغرفة لخمسة أيام متتالية .
مرت كما لو كانت سنوات طويلة .. وكنت اتصنت على
كل الأصوات التي تحدث في البيت .. وقع الأقدام ..
وصوت الجرس عندما يدق .. وكل الأصوات الأخرى
التي تحدث في الشارع ..

وفي اليوم الأخير ، سمعت صوتها يهمس باسمي
فاقتربت من الباب وقلت متلهفة :

ـ أهذه أنت يا عزيزتي بي جوتي .. ؟ !

ـ نعم يادا فيد .. وتكلم بصوت منخفض حتى
لاتسمعنا !

وكانت تقصد بذلك مس مارستان بالطبع ..
وسألتها بصوت منخفض :

ـ كيف حال أمي .. هل هي غاضبة مني .. ؟

وسمعت نونهة بكاء بي جوتي وهي تقول :

ـ لا .. ليست غاضبة ! ..

ـ وماذا سيفعلون بي يا عزيزتي بي جوتي .. هل
تعرفين ؟ !

ـ نعم .. نعم .. سيرسلونك الى مدرسة قرب
لندن ..

ـ متى يابي جوتي .. ؟

- غدا .. !

ثم وضعت بيجوتنى فمها قرب ثقب مفتاح الباب ..
وهمست بحنان :

- عزيزى دافيد .. لقد مر وقت طويل دون ان
اراك .. ولم يكن ذلك بسبب انى لا احبك .. بل على
العكس .. لقد امتنعت عن زيارتك لأن ذلك افضل بالنسبة
لك وبالنسبة لامك .. فانا اخشى غضب مستر ماردىستون
واخته علينا جميعا .. وربما سياتى اليوم الذى ستعرف
فيه امك انى مخلصة لها وتعود من جديد لتضع رأسها
فوق كتفى .. واعدك بانى سأكتب لك يا عزيزى ..

واختنقت كلماتها بعد ان بدأت فى البكاء ..
نفقت لها :

- شكرنا لك يا عزيزتي بيجوتنى .. وهل يمكنك
ان تكتبس الى أخيك مستر بيجوتنى والى اميلي الصفيرة
لتطمئنهم على حالى .. وانى لست فى حالة سيئة
كما قد يظنون .. وانى ارسل تعبياتى وحبي لهم

جعما .. خصوصا اميلى الصغيره .. ارجوك أن
تكتبى لهم بهذا .. !

ووعدتني بيجوتنى بذلك ..

وفي صباح اليوم التالى جاءت مس ماردىستون
وأخبرتني بأنهم قرروا ارسالى الى المدرسة .. وعندما
توجهت معها الى مائدة الافطار .. رأيت امى جالسة
وقد احمرت عيناهما من كثرة البكاء .. ومع ذلك فقد
قالت

ردد يادافيد .. حاول ان تكون ولدا طيبا ..

لقد جعلوها تصدق انى ولد سيء .. وحاولت
ان اتناول طعامى .. ولكن دموعى تساقطت على الخبز
والزبد ..

وعندما وصلت العربة التى ستعملنى الى باب
البيت ، وضعوا فيها صندوقى .. ولم تحضر بيجوتنى
لتوديعى .. وحضرت امى ومعها مس ماردىستون الذى
قالت لها بحزن :

— كلارا .. كونى حازمة !

فقالت أمى طائعة :

— حاضر يا عزيزتى جين .. وداعا يا دافيد ..
انت ذاهب لمصلحتك .. وداعا يابنى .. وسوف تعود
الى البيت فى فترة الاجازة .. وكن ولدا طيبا أفضل
من ذلك !

وعندما اغزورقت عينها بالدموع .. صاحت فيها
مس مارستون :

— كلارا .. :

فقالت أمى :

— نعم يا عزيزتى جين .. ليرعاك الله يا دافيد ..!
وهنا اخذتني مس مارستون وأجلسستنى فى
العربة .. وبدأ الحصان الكسول يتحرك ببطء ..



٧٣

وأغزورفت عيناهما بالدموع .

48

الجزء الثاني

المدرسة

٧ - في الطريق إلى المدرسة

وطللت أبكي إلى أن ابتل منديلي تماماً من كثرة
ما ذرفته من دموع .. وفجأة أوقف السائق العربة .
وتعجبت لماذا توقف .. ولكنني رأيت بييجوتي وهي تقفز
إلى داخل العربة وأخذت تقبلني ..

وأعطتني بعض أكياس من الورق مملوءة بالكعك ..
كما أعطتني كيساً صغيراً به بعض النقود .. ثم نزلت
من العربة وأخذت تجري .. وعندئذ بدأت العربة في
التحرك من جديد .

وبعد فترة توقفت عن البكاء .. ووضع السائق

منديلٍ فوق ظهر الحصان ليجف .. وفتحت كيس النقود ، فوجدت به ثلاثة شلنات لامعة براقة ، كما وجدت ورقة صغيرة مكتوب فيها: « الى دافيد .. مع حبي ! »

وسالت سائق العربة :

- هل سنظل هكذا حتى نصل الى هناك ؟ ..

- اين « هناك » هذه ؟ ..

- هناك .. الى لندن ..

- الى لندن ؟ .. ان هذا الحصان سيموت قطعا قبل ان يصل الى نصف الطريق الى هناك انا سذهب فقط الى يارماوث .. ومن هناك ستركب عربة سفر كبيرة ستأخذك الى لندن ..

كانت هذه خطبة كبيرة وطويلة بالنسبة الى مسيرة باركيس .. وهو اسم سائق العربة ..

واعطيته كعكة .. فوضعتها في فمه وابتلعها مرة واحدة . وسألني بعد فترة :

- هل هي اذني صنعت هذا الكعبه .. ؟

فقلت له :

- هل تقصد بيجوتي ياسيدى ؟ .. نعم هي التي صنعته .. وهي تقوم بكل اعمال الطبع ..

واخذ مستر باركيس يحملق في اذنى الحصان ومو مستفرق في التفكير . ثم سالني :

- هل لها زوج .. ؟

- لا ياسيدى .. انها غير متزوجة .

وظل يحملق في اذنى الحصان ، ثم قال مرة اخرى :

- وهي التي تقوم بكل اعمال الطبع .. ؟

- نعم ..

- اعتقد انك ستكتب لها مستقبلا ..

- نعم ساكتب لها ..

وعندئذ أدار مستر باركيس عينيه نحوى ونظر الى راجيا .

ـ عندما تكتب اليها .. قل لها ان « باركيس
مستعد » (١) .

فتساءلت دون ان افهم قصده :

ـ باركيس مستعد ؟ .. هل هذه كل رسالتك ؟!

فقال بهدوء ويبطئ : ..

ـ نعم ..

ـ ولكنك يا مستر باركيس ستر ببيتنا غدا ..
اليس من الأفضل أن تبلغها رسالتك بنفسك ؟

فقال بهدوء مرة أخرى :

ـ أبلغها بأن « باركيس مستعد » .. هذه هي كل رسالتي .

وعندما وصلنا الى يارماوث ، قالت السيدة التي تدير الحانة ان عشائى جاهز . واقتادتني الى صالة واسعة . وأحضر الخادم عشائى وهو يقول :

(١) عبارة تعنى انه يعرض عليها الزواج به .

ـ هذا عشاء به كمية من الطعام أكثر من حاجة ولد صغير .. هل تدعني أساعدك فيه .. دعنا نرى من يأكل أكثر من الآخر .. !

وبالطبع فقد أكل الخادم أكثر مني .. أكل كل العشاء تقريبا .. وطلبت منه أن يحضر لي بعض الأوراق لاكتب رسالة إلى بي جوتو . وكتبت :

« عزيزتي بي جوتو .

وصلت بالسلامة إلى ياماوث .. و « باركيس مستعد » .. أبلغني أمي بحبي .
المخلص لك والذى يحبك كثيرا .

دافيد .

ملحوظة : هو يقول انه حريص على ان تعرفى ان « باركيس مستعد » .

وسألنى الخادم :

ـ هل انت ذاهب الى المدرسة ؟ ..

- نعم ..

- وأين تقع هذه المدرسة .. ؟

- بالقرب من لندن .. هذا كل ما اعرفه عنها .

- اوه .. انى أسف لذلك !

فقلت مدهشاً :

- لماذا .. !؟

- انها المدرسة التي يكسرون فيها ضلعين من صدر كل ولد !

ولم يسعدنى هذا الكلام طبعا ..

وبعد فترة وصلت عربة السفر الكبيرة الى باب الحانة الخارجى ، وأوصلتني السيدة التي تدير الحانة الى العربة وهي تنظر الى بدھشة وقالت :

- هل التهمت كل طعام العشاء دون ان يساعدك أحد ..

ونادت على الخادم :

- جورج . . ان هذا الولد سينفجر من كثرة ما اكل . . !

· وتحركت عربة السفر وأخيراً وصلت إلى لندن في
صباح اليوم التالي . . . وهناك كان ينتظرني أحد
المدرسين الذين يعملون في المدرسة . كان اسمه مستر
ميل . . وقلت له أني لم أتناول إفطاري .

二

— ستشترى بعض الطعام .. وسوف اذهب لزيارة سيدة عجوز .. وستتناول طعام افطارك عندها .. ومشينا مسافة قصيرة ، الى ان وصلنا الى أحد ملاجئ الفقراء والعجزة التي يبنيها بعض الأغنياء المحسنين لايواء المعوزين من الناس . ودخلت مع مستر ميل الى داخل الملجأ . وسمعت صوت سيدة عجوز تناهيه :

- عزیزی شارلی !

وَعْرَفَتْ أُنْهَا أُمْ مَسْتَرْ هِيل ..

وبعد أن تناولنا افطارنا سويا، قالت السيدة العجوز
لابنها :

– هل أحضرت صفارتك ياشارلى ؟
وأخرج مستر ميل صفارته وبدأ يعزف لعنة
وكان أسوأ عزف سمعته في حياته . . .

وبعد أن خرجنا من الملاجأ ، ركبنا عربة سفر أخرى
وصلقنا إلى بلا كهيث .

ثم سرنا مسافة طويلة حتى وصلنا إلى بيت مبني
من الطوب وله باب علقت عليه لافتة مكتوب عليها :
« سالم هاوس » .

وفتح الباب . وظهر رجل له ساق خشبية .
وقال له المدرس :
– هذا هو الولد الجديد .

كان « سالم هاوس » هذا عبارة عن مبنى مربع
الشكل له مظهر حزين . . . وقادني الرجل إلى أحد
الفصول . . . وهو مكان محزن وفارغ تماما وليس فيه
أحد غيري . وكانت هناك ثلاثة صفوف طويلة من مقاعد
الתלמיד . . . وقصاصات كثيرة من الورق متباشرة على

الأرض . . وكانت الجدران كلها ملوثة بالحبر كما لو
كان السقف قد امطر حبرا . . وكانت رائحته كريهة
لاتطاق .

وفي ذلك الفصل قضيت عدة أيام وحيدا . . ولم
أكن أرى أحدا سوى مستر ميل ، فال الأولاد لم يعودوا
بعد من الأجازة ، كما أن مستر كريكل ناظر المدرسة
مازال يقضى عطلته بعيدا على شاطئ البحر .

وكنت أتناول وجباتي مع مستر ميل في صالة
ال الطعام الواسعة الخالية . ثم نعود إلى الفصل . .
ويneathك هو في الكتابة لفترة طويلة وعندما كان ينتهي
من ذلك كان يخرج صفارته ويبدا في عزف الألحان
الحزينة . .

اما أنا ، فكنت أقضي وقتى في القراءة . . أو في
الاستماع إلى تلك الألحان الحزينة . . وعندما كنت
أتوجه للنوم كل مساء ، كنت أجهد نفسي بالبكاء حتى
أتتمكن من النوم وحدى في تلك الحجرة الكبيرة الواسعة
الملوئة بالأسرة الخالية . .

٨ - وقابلت العديد من الناس

وأخذ الرجل ذو الساق الخشبية ينظف جميع الأركان بمبنى المدرسة . وعلمت أن ناظر المدرسة مسـتر كريـكل سيـصل فـي المـسـاء . وقبل أن يـحل موـعـد نومـي بـقلـيل ، استـدعـانـى الرـجـلـ ذـو السـاقـ الخـشـبـيةـ لـقـابـلـةـ النـاظـرـ .

كان مـسـتر كـريـكلـ بـديـنـاـ . وـكـانـ يـجـلـسـ فـي حـجـرـتـهـ عـلـى مـقـعـدـ ذـي مـسـانـدـ جـانـبـيـةـ . وـكـانـتـ زـوـجـتـهـ مـسـرـ كـريـكلـ وـابـنـتـهـ مـسـ كـريـكلـ مـوـجـودـتـيـنـ بـالـحـجـرـةـ . وبـمـجـرـدـ دـخـولـيـ قـالـ المـفـاظـرـ :

- هاه .. هاه هو الجنتلمن الصغير الذى يغض ..
لقد أخبرنى مستر ماردىستون بأنك تغض .. أنا أعرف
مستر ماردىستون جيدا .. انه رجل قوى الشخصية ..
وأنا أيضا قوى الشخصية .. وعندما أقول انى سافعل
 شيئاً ما فلا بد أن أفعله .. !

وشعرت بخوف شديد ..

وفي صباح اليوم التالى ، وصل مدرس آخر اسمه
مستر شارب . وكان تومى ترادلز أول العائدين من
الأجازة من تلاميذ المدرسة . ثم وصل بعد ذلك أولاد
آخرون .

وعندما وصل ج . ستيرفورث ، أخذونى إليه كما
لو كانوا يأخذوننى إلى القاضى .. كان جالسا تحت
دروة فى فناء الملعب .. وهو أكبر الأولاد سنا ولذلك
فقد كانوا يعتبرونه رئيسهم . وكان يتمتع بذكاء خارق
ومنظر حسن .

سألنى ستيرفورث :

- كم معك من النقود .. ؟

فُقِلْتَ لِهِ عَلَى الْفُورِ :

٠ سبعة شلالات ٠

- اذن اعطيهم لى .. سوف أحفظ هذه النقود من
أجلك ..

وأعطيته النقود . فقام :

- ربما تواافق على صرف بعض هذه النقود
للاشتراك في شراء وليمة سناكلها في حجرة النوم ..
فواهقت ..

وفي تلك الليلة ، انعدمت الوليمة في حجرة النوم ،
وجلسنا جميعاً نتسامر ونتحدث في همس وعلمت الكثير
من أخبار المدرسة وأسرارها .

علمت أن مستر كريكل ناظر المدرسة يضرب الأولاد بشدة وباستمرار . . وانه لا يعرف شيئاً . . وانه كان صاحب متجر صغير قبل أن يبدأ مشروع هذه المدرسة . . وعلمت انه لا يحسن اطلاقاً على ضرب ج . ستيرفورث .

وعلمت أيضاً أن المدرسين مستر شارب ومستر ميل لا يحصلان إلا على أجر قليل . . كما علمت أن مسر كريكل زوجة الناظر معجبة جداً بستيرفورث .

واخيراً قال لى ستيرفورث :

- تصبح على خير يا كوبرفيلد الصغير . . سوف أرعاك واعتنى بك !

فقلت له :

- شكرنا لك . . إنك شديد العطف !

٩ - العام الدراسي الأول في سالم هاووس

بدأت الدراسة في اليوم التالي . ومازالت أذكر الضجة الشديدة الصاخبة التي كانت تحدث في حجرة الدراسة ، والسكون والصمت المفاجئ عند ظهور مستر كريكل .

ويبدو أن مستر كريكل كان يجد متعته الخاصة في ضرب الأولاد .. وكان يضرب ترادرلز أكثر من كل الأولاد الآخرين .

وواصل ستيرفورث حمايته لي . و كنت أحكي له ما أعرفه من القصص في كل مساء ، وكان يساعدني

في مذاكرة دروسى . . . وكذلك كان مستر ميل يساعدنى في المذاكرة ، وشعرت بأنه يحبنى ويعطف على أكثر من الأولاد الآخرين

و كنت أتألم بشدة من المعاملة السيئة التي يمارسها ستيرفورث ضد مستر ميل . . . فقد كان يعامله بدون احترام ، ويفعل كل شيء يؤذى مشاعره ويجرح أحساساته . . . وكان يحرض الأولاد الآخرين ويشجعهم على السخرية به .

وشعرت بأنى أخطأ خطاً كبيراً حين أخبرت ستيرفورث بأن أم مستر ميل سيدة عجوز تعيش في ملأ للقراء والعجزة . . . فقد كنت أخشى أن يشيع ستيرفورث هذا الخبر بين الأولاد الآخرين لزيادة السخرية بمستر ميل وجرح مشاعره . . .

ومكذا مرت أيام الدراسة يوماً وراء يوم . . . إلى أن جاء يوم سأظل أذكره طول حياتي .

كان يوم سبت . . . وقد أجبرنا المطر المنهر إلى

قضاء فترة بعد الظهر بداخل حجرة الدراسة . وكان مستر شارب قد انصرف ، وبقى معنا مستر ميل .

كان الأولاد يحدثون ضجيجاً وصخباً أكثر من المعتاد . . . كانوا يجررون ويتفاوضون هنا وهناك . . . ويضحكون . . . ويصرخون . . . ويغفون . . . ويرقصون . . . ثم أخذوا يتحلقون حول مستر ميل ويتحلقون بأعينهم فيه . . . ويخرجون السنن لهم له . . . ويسخرون من ملابسه الفقيرة الرثة . . . ومن حذائه البالى المثقوب . . . ومن أمه !! . . .

كان هذا شيئاً فظيعاً ومؤلماً . . . وكان الأولاد يدورون حوله كما تدور الكلاب حول حيوان جريح . . . ومع ذلك ، فقد ظل مستر ميل جالساً في سكون وقد أسد رأسه على يده محاولاً القراءة في كتاب . . . أو لعله كان يتظاهر بأنه منهمك في القراءة . . .

ولكن فجأة ، قفز مستر ميل من مقعده وهب واقفاً وأخذ يصبح :

— اسكتوا جميعا .. ما هذا الذى تفعلون ..
مامعناه .. من المستحيل ان اتحمل ذلك .. انكم تدفعوننى
إلى العنون .. كيف تجرؤون على فعل ذلك يا الأولاد !؟

وألقى بالكتاب بعنف فوق مكتبه ..

وحل الصمت عندما توقف بعض الأولاد عن
الاستمرار في تلك السخرية المريضة .. ولكن ستيرفورث
وقف في آخر الفصل وأخذ يصفر . فقال مستر ميل :

— اسكت يا ستيرفورث !

ولكن ستيرفورث قال :

— اسكت أنت !

— اجلس !

— اجلس أنت !!

وضحك الكثير من الأولاد ، وشحب لون وجه
مستر ميل وهو يقول :

- لقد رأيتك وانت تحرض الأولاد ضدى وتختهم
على السخرية بي .. انك الولد المفضل لدى الناظر ..
وانت تستغل هذا المركز لتسخر وتشتم وتبسب سيدا
مثلي ..

فقال ستيرفورث على الفور :

- سيدا !! .. مل تذلن نفسك سيدا !! .. انك
مجود شحاذ !!

وخييل لي أن ستيرفورث كان ينوي ضرب مستر
ميل .. أو أن مستر ميل كان ينوي ضرب ستيرفورث ..
وفجأة دخل مستر كريكل الى الحجرة وصاح :

- ما هذا الذي يحدث .. ؟

فقال ستيرفورث :

- كان يقول انى الولد المفضل لدى الناظر ..
وقال مستر ميل :

- انه يستغل مركزه هذا ويسبني ..

فقال ستيرفورث :

- لقد وصفته بأنه شحاذ .. وهو بالفعل شحاذ ..
وابن شحاذة .. ان أمه تعيش في ملجاً للفقراء
والعجزة !

ونظر مстер ميل نحوى .. وأسند يده على كتفى ..
وهنا قال مستر كريكل :

- وإنما يامستر ميل .. اذا سمحت .. أن عليك
أن تثبت لنا جميعاً أن ما قاله ستيرفورث غير صحيح ..
فقال مسقى ميل بانكسار :

- لا .. انه على صواب .. لقد قال الحقيقة !

وعندئذ قال مسقى كريكل قراره :

- أعتقد انك أخطأت الطريق .عندما جئت للعمل في
مدرسةنا .. كان يجب أن تتعامل في مدرسة
للسحاذين .. أنت مفصل .. وعليك أن تغادر
المدرسة !

فقال مستر ميل وهو ينصرف :

ـ ستيرفورث .. اتعنى ان يأتي يوم تندم فيه
وتحس بالعار مما فعلته معى فى هذا اليوم !

وجمع مستر ميل كتبه وصفارته وخرج ..

ومما قال ترادرلز لستيرفورث :

ـ أنت الذى شتمته .. وتبينت أىضا فى فصله
من العمل !

ومع ذلك فقد كان ستيرفورث محل اعجاب معظم
الأولاد .

وفي ظهر أحد الأيام ، أخبروني بأن زوارا جاءوا
ويريدون مقابلتي وفوجئت بوجود مستر بيجرتونى
وهام ، وقد جاء لزيارتى . وقال مستر بيجرتونى عندما
رأنى :

ـ لقد نضجت وأصبحت كبيرا ..

وسألته :

- كيف حال أمي .. وكيف حال أمي الصغيرة
وممز جاميدج .. !؟

- هم جميعاً بخير وفي أحسن حال .. لقد
أحضرت لك بعض الواقع والمحار ..

وعندما دخل ستيرفورث الى الحجرة قلت له :

- تعال لأعرفك يا صدقائي .. هذان صديقان
من يارماوث ويعملن في القوارب .

فقايل سقيرفورث :

- انى سعيد بروپيتكما .

وقلت :

- هل يمكن أن أصحاب ستيرفورث معى عند زيارتكم فى يارماوث لكي يرى بيتكم . انه بيت مصنوع من قارب كبير پاستيرفورث ١

فقال مستر بيجوتي :

- أن بيتي ليس فرجة .. ولكنني أرحب بكم
بكل سرور في هذا البيت ..

وهكذا مرت أيام الدراسة .. كل يوم منها كان
يشبه ما سبقه وما يليه من أيام .. وانتهى العام
الدراسي أخيرا ..

ومازلت إلى الآن أذكر رحلتي إلى يارماوث في عربة
السفر ..

١٠ - أيام الأجازة

ومن يارماوث . ركبت زينة السفر الصغيرة التي
يقودها مهتر باركيس . وقلت له :

- تبدو في حالة جيدة يا مستر باركيس . . . لقد
ارسلت رسالتك .

فقال بهدوء :

- ولكن لم استلم حتى الآن ردّا . . . ومازالت
انتظر .

فسألته :

- وهل حدثها في ذلك ؟ . . .

- لا .. وعليك أن تحدّثها أنت في هذا الموضوع .. قل لها : بيجوتي .. باركيس مازال يتّظر ربك .. فانا سألك ردك على ماذا فقل لها إن « باركيس مستعد » !

ثم سألفي بعد لحظة :

- قل لي .. ما هو اسمها الأول ؟

فقلت له :

- كلارا .. اسمها كلارا بيجوتي

وكتب مسّتر باركيس هذا الاسم على أحد جانبي
العربة .

وعندما وصلنا إلى البيت . توقفت العربة أمام
البوابة الخارجية ، ونزل مسّتر باركيس صندوق
حاجياتي وتركني .. وسرت تجاه الباب ، واتجهت
مسرعا نحو غرفة المعيشة .. وهناك رأيت أمي جالسة ،
وتحمل على ذراعيها طفلا رضيعا .. !

ناديت عليها ، فهبت واقفة ، واتجهت نحوى ،
وقبلتني وهي تقول :

ـ مذا أخشوك يادأفید .. يا ولدى العزيز ..
يا ولدى المسكين !

وجاءت بيجوتى مسرعة واحتضنتنى .. وكان
مستر ماردىستون وأخته مس ماردىستون خارج
البيت .. لذلك فقد جلسنا نحن الثلاثة نتناول عشاءنا
جوار المدفأة .. وعندما أخبرت بيجوتى بما قاله مستر
باركيس ، أخذت تضحك .. وهنا تسأله أمى :

ـ عما تتحدثان .. ؟

فقالت بيجوتى :

ـ عن رجل غبى يريد أن يتزوجنى !

وقالت أمى :

ـ سيكون هذا زواجا مناسبا ..

وقالت بيجوتى :

- لا .. لن أتزوجه حتى ولو كان مصنوعاً كله من الذهب الخالص .. قل له يادافيد : إنك لم تتكلم معها من بل .. وقل له انه اذا حاول أن يكلمني فسوف أصفعه على وجهه !

وعندما انتهينا من تناول العشاء ، جلسنا قرب نار المدفأة . وقالت أمي متسائلة :

- بيجوتي .. هل حقاً تريدين أن تتزوجي ؟

- أنا ؟ .. أنا لن أتزوج اطلاقاً ..

- لا تتركييني يا بيجوتي .. وابقى جواري فأنا بحاجة اليك .. انىأشعر بقرب النهاية ..

- أتركك ؟ .. هل هذا معقول .. سأبقى معك الى أن أصبح سيدة عجوزاً لا اصلاح لشيء ..

واخذت أحكي لها مارأيتها وسمعته من حكايات المدرسة .. ولكن بيجوتي قالت فجأة وكانما تذكرت شيئاً هاماً :

- انى اتعجب .. ماهى اخبار عمة دافيد
الكبرى .. مس بيتسى تروتورد .. !

فقالت أمى :

- اعتقد انها مازالت تعيش فى كوخها قرب
البحر .. ويفيدو أنها لم تعد راغبة فى مضايقتنا .

- ربما ستغفر الآن لدافيد حكاية انه ولد ولم
يكن بنتا كما كانت تريد .. خصوصا بعد أن أصبح
لدافيد أخا آخر ..

وعندئذ بدأت أمى فى البكاء وقالت ببيجوتى
بصوت حزين :

- لماذا تفكرين فى ارسال دافيد الى عمه الكبرى
مس تروتورد .. مجرد أنى ولدت له أخا ..

وبدا شجار عاصف بين أمى وبيجوتى ، ولكنهما
تصالحتا فى النهاية وغفت كل منهما للأخرى ..
وقالت أمى أن بيجوتى هي صديقتها الحقيقية المخلصة .

وسمعنا صوت عجلات احدى العربات وهي تتوقف عند باب البيت . . لقد وصل مستر هارديستون وأخته . . وعندما مد يده ليصافحني . . نفس اليد التي عضضتها خربني . . رأيت علامة حمراء مكان العضة . .

و عندما كنت أحبي مس هاردستون وأصافحها
بيدى ، سألتني :

ـ ما هي مدة الأجازة ؟

فقاقيع لها :

- مدتها شهر واحد ..

وأحضرت مس مارديستون ورقة وقلم ، وكتبت
أيام هذا الشهر يوما يوما .. وفي كل صباح كانت
تشطب على كل يوم يمر ..

لم تكن أجازة سعيدة بأي حال .. وكان من الواضح تماماً أن مستر مارستون وأخته لا يطيقانى .. وفي حضورهما كانت أمي تخشى أن تبدر منها أية بادرة

عطف نحوى .. وكانت تخشى أن أقول كلمة أو أ فعل شيئاً يسبب المتاعب ..

ولهذا فقد عزلت نفسي في حجرة نومي .. و كنت أقضى وقتى في القراءة .. أو في الجلوس في المطبخ مع بيجوتي .. وعندما يكون مسiter ماردىستون وأخته موجودين .. كنت ألزم الصمت تماماً ولا أنبس بكلمة ..

وقال مسiter ماردىستون انى ذو شخصية انعزالية كئيبة . ثم أضاف :

- وعليك ان تغير تلك الشخصية .. انك تتجنب الجلوس معنا في غرفة المعيشة .. وتغير مكاناً لو كنا مصابين بأمراض خطيرة ..

ولذلك فقد اضطررت أن أجلس صامتاً وحزيناً في غرفة المعيشة يوماً وراء يوم .. و كنت أتعني حلول المساء حتى أتمكن من مغادرة الغرفة والتوجه إلى غرفة نومي لأبقى وحيداً .. وبعيداً !

وأخيرا انتهت أيام الأجازة .. وقامت مس مارستون وهي تشطب آخر خانة في ورقتها :

ـ ها هو اليوم الأخير .. !

ووصلت عربة مسiter باركيس الى باب البيت ..
ووضعت فيها صناديقى .. وعندما قبلتني أمى ، قالت
لها مس مارستون :

ـ كلّارا ! .. كوني حازمة !!

وتحركت العربية ببطء ..

وعندما التفت خلفي .. رأيت أمى مازالت واقفة
عند باب البيت حاملة على ذراعيها طفلها الرضيع ..

وكانت هذه آخر مرة .. أرى فيها أمى على قيد
الحياة ..

١١ - وفقدت أمي ..

وبعد نحو شهرين من عودتى الى سالم هاوس ..
دخل مستر شارب الى حجرة الدراسة ، وطلب منى
أن أذهب لمقابلة الناظر مستر كريكل .. واعتقدت أن
هدية وصلتني من بيجوتى .

كان مستر كريكل يتناول طعام افطاره .. وبجواره
جلس زوجته وفي يدها خطاب مفتوح . وطالبت منى
مسر كريكل أن أجلس فجلست . وقامت من مقعدها
وجلست بجوارى . وقالت :

- هناك شيء أريد أن أخبرك به يا بنى .. إن
أمك مريضة جدا ! ..

بكى فوراً وانهارت دموعي .. ثم قالت مسر
كريكل :

ـ كان مرضها خطيراً للغاية ..

وتوّقعت كلماتها القالية :

ـ لقد ماتت !

وبعد ظهر اليوم التالي غادرت سالم هاوس .
وعندما وصلت إلى يارماوث لاستقل عربة مستر
باركيس لاحظت أن مستر باركيس غير موجود .. وأن
شاباً بدينا أحمر الوجه قد حل محله ..

واستقبلتني بيحوي عند الباب .. ودخلت بن إلى
البيت وهي تبكي وتتحدث في همس كما لو كانت تخشى
أن توقظ سيدتها التي ماتت .

وفي غرفة المعيشة كان مستر ماردستون جالساً
يبكي .. بينما انهمكت أخته في الكتابة على بعض
الأوراق .

وحضرنا جميعاً دفن أمي .. ووقفنا طويلاً عند
قبورها ..

وفي مساء ذلك اليوم . جاءت بيجوتي الى حجرة نومي . وجلست بجوار سريري . وقالت :

- لم تعد صحتها في حالة جيدة منذ مدة طويلة ..
ولم تكن سعيدة في حياتها .. كانت تغنى لطفلها الرضيع بنعومة وحزن .. وكانت خائفة بصفة مستمرة، بل وكان خوفها يزداد يوما بعد يوم .. وكانت بعض الكلمات القاسية التي توجه اليها أحيانا مثل الضربات الشديدة .. وفي احدى الليالي استدعتني وقالت لى :

- بيجوتي يا عزيزتي .. انى اعتقاد بانى فى طريقى الى الموت .. لقد تعبت تماما من حياتى .. ولو كان الموت مثل النوم ، فابقى بجوارى حتى انام .. ضعى يسلك تحت رأسى وأديري وجهى نحوك .. أن وجهك يبدو بعيدا بعيدا .. وانا اريد بقربى ..

وماتت .. كما لو كانت طفلا صغيرا تسلل النوم الى عينيه ..

۱۲ - بیچوئی تڑوچ

وبعد فترة قصيرة من دفن أمي في قبرها ..
قامت مس ماردستون باستدعاء بيجوتى ، وأخبرتها
بأنها لم تعد فى حاجة الى خدماتها ، وأن عليها أن
تغادر البيت .

لأيزيد إنك معهما في الوقت الحاضر . . . واعتقد
سيسمحان لك أن تذهب، معى . . .

وبالفعل ، وافت مس مارستون على ذهابي مع
بيجوتى . . .

وعندما وصلت عربة مستر باركيس . . . وضمنا
فيها صناديقنا . . . وطوال الطريق كان مستر باركيس
يتصرف بأدب بالغ :: ولم يتكلم سوى كلمات قليلة
وعندما وصلنا إلى نهاية الرحلة في يارماوث ، انتهى
بي جانيا وسألنى :

— هل تعلم من هو المستعد ؟ . . . « باركيس
مستعد » ١١٠٠

وبينما كنا نترجّه في الطريق إلى بيت أخيها
سألته بيجوتى :

— دافيد يا عزيزي . . . ماذا تقول إذا أنا قبلت
الزواج منه ؟

- من مستر باركيس ؟ .. اعتقد أن هذا سيكون أفضـل شـيء .. فـسوف يـكون لـديك في هـذه الـحـالـة عـربـة وـحـصـان .. وـتـسـتـطـيـعـين دـائـماً أـن تـحـضـرـي لـزيـارتـي ..

وـهـرـبـتـ الأـيـامـ فـى بـيـتـ مـسـتـرـ بـيـجـوـتـى .. أـيـامـ مـتـمـاثـلـةـ كـفـيـرـهـاـ مـنـ الأـيـامـ التـىـ مـضـتـ .. وـلـكـنـ لـمـ نـعـدـ .. أـنـاـ وـأـمـيـلـىـ الصـغـيرـةـ .. نـتـمـشـىـ وـنـمـرـحـ عـلـىـ الرـمـالـ .. فـقـدـ اـنـشـفـلـتـ الـآنـ بـمـذـاكـرـةـ درـوـسـهـاـ بـالـاضـافـةـ إـلـىـ مـاـكـانـتـ تـؤـديـهـ مـنـ أـعـمـالـ الـبـيـتـ ..

وـلـاشـكـ فـىـ أـنـهـ كـانـتـ تـحـبـنـىـ .. وـتـضـحـكـ لـىـ وـتـدـاعـبـنـىـ دـائـماـ .. لـقـدـ نـضـجـتـ الـآنـ وـلـمـ تـعـدـ طـفـلـةـ صـغـيرـةـ كـمـاـ كـانـتـ مـنـ قـبـلـ ..

وـكـانـ مـسـتـرـ بـارـكـيـسـ يـحـضـرـ كـلـ مـسـاءـ حـامـلاـ مـعـهـ هـدـيـةـ لـبـيـجـوـتـىـ .. بـعـضـ الـفـواـكـهـ .. أـوـ طـيـرـ فـىـ قـفـصـ .. أـوـ قـطـعـةـ مـنـ اللـحـمـ .. أـوـ أـشـيـاءـ أـخـرىـ غـرـيـبـةـ ..

وـكـانـ يـأـخـذـ بـيـجـوـتـىـ لـلـزـهـةـ فـىـ بـعـضـ الـأـحـيـانـ .. وـحـينـمـاـ كـانـتـ تـعـودـ مـنـ تـلـكـ النـزـهـاتـ كـانـتـ تـضـحـكـ وـتـضـحـكـ ..



۱۱۳

بیجوتی و بارگیس .

وفي احدى المرات صحبنا مستر باركيس - أنا
وأمily وبيجرتى - في عربته . . وعندما وصلنا الى
الكنيسة توجه هن وبيجرتى الى الداخل وتركانا وحدينا
بالعربة .

وبعد فترة خرجا من الكنيسة . وسألنى مستر
باركيس :

- هل تذكر الاسم الذى كتبته على جانب العربة . .
لقد كان كلارا بيجرتى . . لقد تغير هذا الاسم الان
وأصبح : كلارا باركيس . . !

لقد تزوجا . . !

الجزء الثالث

الشباب ..

١٣ - وخرجت الى العالم

حان الوقت بعد ذلك لكي أعود الى البيت . . .
وأخذنى باركيس فى عربته ، وكانت بيجوتى تركب
معنا . . . وعندما وصلنا . انزلانى أمام البوابة وتركتانى
وحدى . . . وأخذتنى الدهشة حين رأيت العربية تمضى
في طريقها آخذة معها . بيجوتى دون أن تنزل معى . . .

أفضل أن أعيش في أية مدرسة مهما كانت صعبه
الظروف والأحوال ، فهذا أفضل بكثير من الحياة بمثل
هذا الشكل .

وكان بيوجوتي تحضر لزيارتى كل اسبوع ..
وكنت أقضى وقتى كله بين كتب القصص والروايات ..
وكنت اعتبر هذه الكتب خير أصدقائى .

وفي أحد الأيام وصل إلى البيت رجل اسم مستر
كويينيون . واستدعاني مستر ماردستون إلى غرفه
الجلوس وقال :

- هذا مستر كويينيون . الموظف بشركة ماردستون
وشركاه بلندن .. ستدهب لتعمل معه في مكتبه
بالشركة .. وستعيش هناك في غرفة مستأجرة بمنزل
أحد الأشخاص .

وهكذا وجدت نفسي في النهاية جالسا جنبا إلى
جنب مع مستر كويينيون في العربة المسافرة إلى لندن ..
وأنا لم أزل ولدا صغيرا .. يخرج وحيدا إلى العالم ..

١٤ - بداية العمل

ركان يعمل في المكتب ثلاثة أولاد آخرون . . . لم
أنجرب معهم ، وشعرت بقدر كبير من التعب . وفجأة
هذا اليوم الأول للعمل في هذا المكتب ، ظللنا نعمل حتى
الساعة الثانية عشرة ظهرا . واستدعاني مستر
كرينيون إلى حجرة مكتبه . وهناك رأيت رجلاً بدینا
يرتدى معطفاً بنى اللون . وكان اسمه مستر ميكاؤبر .

قال مستر كرينيون :

— هذا هو الغلام . . .

فقال مستر ميكاؤبو باهتمام ووقار وأدب :

- اذن هذا هو مستر كوبرفيلد؟ .. أرجو أن تكون في خير حال يا مستر كوبروفيلد .. !

شكّرته ، وتمنّيت له نفس الشيء . فقال بنفسه
الطريقة الوقورة المؤدية ..

- شكرًا لله .. أنا في حالة طيبة .. لقد تلقيت خطاباً من مستر مارستون يطلب مني فيه أن استضيفك في منزلي .. وستسكن في أحدي الغرف التي لا احتاجها في الوقت الحالي .

وقال مستر كوينيون :

- لقد استأجرنا لك غرفة في بيت مستر ميكابير .

وقال مستر مكاوير :

- عنوانی هو : وندسور هاؤس . سیتی رود ،
و اختصار « فانا أعيش هناك . »

وقد لاحظت منذ البداية أن مستر ميكابر كان يقول العديد من الكلمات بأسلوب معقد قليلا ثم يقول كلمة « باختصار » ويقول نفس الكلمات بطريقة سهلة



١٢١

مستر عیکاوبور .

مختصرة . . . كانت هذه هي طريقة المعتادة في الحديث . وبهذه الطريقة قال لي مستر ميكاوير :

ـ اعتقد أنك لم تتعرف حتى الآن على شوارع هذه المدينة الكبرى . . . ومن المتوقع أنك ستجد صعوبة وعناء حتى تكتشف إلى أين أعيش فيه . . وبالاختصار . . سوف تفقد ذريعة . . . تتوه ولهذا فسوف أحضر في المساء لاصحبك معى لأريك الطريق إلى هذا البيت .

وارتدى مستر ميكاوير قبعته وغادر المكتب .

وعند حلول المساء ، عاد مرة أخرى ليأخذنى معه إلى بيته . وهناك رأيت زوجته مسز ميكاوير وأبناؤه الأربعة . وقالت لي مسز ميكاوير :

ـ لم أكن أظن مطلاً على حين كنت أعيش في بيت أمي وأبى . . أن يوماً ما سيأتي وأضطر فيه لتأجير أحدى الغرف في بيتي ليعيش فيها أحد الغرباء . ولكن مستر ميكاوير يعاني من بعض الصعوبات المالية . . ولا يترك له دائنه فرصة من الوقت حتى يتمكن من رد ديونهم . .

كانت مسر ميكابر مسكونة حقا .. وكانت تبذل كل ما في وسعها لمساعدة زوجها في تلك الأزمة . فقد علقت على باب بيتها لافتة كتبت عليها :

« مدرسة مسر ميكابر لتعليم الفتيات » .. ومع ذلك فلم تحضر إلى البيت فتاة واحدة .. والذين كانوا يحضورون إلى البيت هم بعض الدائنين الذين كانوا يصرخون في وجه مستر ميكابر ويطالبونه برد ديونهم ..

وكان هناك مجموعة أخرى من الدائنين يصرخون ويهددون مستر ميكابر حين كان يسير في الشارع .. ومجموعة ثالثة يطلقون تهديداتهم وصراخهم وهم يقفون تحت نوافذ البيت ..

وحينئذ كان مستر ميكابر يشعر بعنقته العasse ويقول أنه يجب أن يقتل نفسه وينتحر ليتخلص من كل ذلك .. ولكن بعد مرور أقل من نصف ساعة ، كان - وياللغرابة ! - يشرع في تنظيف حذائه ، ويخرج من البيت وهو يغنى أغنية مرحة ويشعر بسعادة غامرة ..

وكان مسر ميكابر على شاكلته . ففي الساعة السادسة مثلا ، أراها راقدة على الأرض وهي تبكي .. ولكن قبل مرور أقل من ساعة ، كنت أراها في قمة البهجة والسرور .. وتحكى لى الكثير من القصص عن أمها وأبيها .. وعن البيت الذي كانت تعيش فيه قبل أن تتزوج .

وفي أحد الأمسيات عاد مستر ميكابر إلى البيت حزينا . وأخذ يبكي عندما بدأ في تناول عشاءه . وقال أن الأمور قد تأزمت ولم يعد باقيا سوى أن يرسله دائنه إلى السجن بسبب عجزه عن سداد ديونهم ..

ولكن عندما انتهى مستر ميكابر من تناول عشاءه ، أخذ يغني أغنية مرحة .. وقبل أن يتوجه إلى سريره للنوم ، أخذ يحسب تكاليف عمل نوافذ كبيرة للبيت بدلا من تلك النوافذ الضيقة .. وذلك عندما تحسن الأحوال .. !

ولكن الأحوال لم تتحسن ، بل وأخذ الزوجان يبتعان بعض الأشياء من بيتهما للحصول على الطعام .

ولكنهما كانا لا يجسران على الخروج من البيت ومعهما
أى شيء يريدان بيعه ، فقد كان الدائنان يتربيصون بهما
ويراقبونهما لمنعهما من بيع أى شيء من حاجيات
البيت .

ولذلك فقد كنت أتولى هذا الموضوع نيابة عنهم ..
كنت أخرج من البيت ومعي بعض الكتب أو بعض قطع
الفضائل .. أخبتها في جيوبى أو تحت معطفى ،
وأذهب لبيعها واعود سريعاً لأعطيهما الثمن ..

واخيراً جاءت النهاية .. وطلب الدائنان ادخال
مستر ميكابر إلى السجن(١) . وفي تلك الليلة زرته
بالسجن وتناولت معه طعام العشاء . ثم عدت إلى
مسز ميكابر لأواسيها .

وفوجئت بأن الدائنين قد أخذوا كل أثاث البيت ،

(١) كان هناك قانون في إنجلترا يقضى بسجن المدينين الذين
يعجزون عن سداد ديونهم . وفي مثل هذه الحالة كان يجوز للسجين
أن يصحب معه أسرته إلى السجن حتى تجد طعامها .

ولم يتركوا سوى منضدة وبضع مقاعد قليلة . وقد عشنا بعض الأيام وسط هذه البقايا البائسة ، إلى أن اضطررت مسر ميكاوبر إلى أن تذهب سو معها ابناوها - لتعيش مع زوجها في سجنه . وأضطررت أنا بالتالي إلى مغادرة البيت . وعشت في حجرة أخرى في مكان قريب من السجن . وقد اعتدت على زيارة مستر ميكاوبر وأسرته في السجن كل مساء .

وبعد فترة أطلق سراحهم ، فخرجوا من السجن وجاءوا ليعشوا معى حيث كنت أعيش . ثم قرروا الرحيل إلى مدينة بلايموث . وفى مساء يوم الأحد السابق لهذا الرحيل ، تناولنا جميعاً طعام العشاء معاً . وألقى مستر ميكاوبر خطبة قال فيها :

- يا صديقى الصغير .. يا صديقى العزيز .. أنا أكبر منك سنًا .. وأكثر منك خبرة في الحياة .. والى أن تنصلح الأحوال .. وهذا ما أتوقعه .. فليس لدى ما أمنحك أياه سوى نصيحة واحدة .. ونصيحتى هي : اذا كان دخلك السنوى عشرين جنيها ، وانفاقك السنوى

عشرين جنيها الا ستة بنسات .. فسوف تعيش سعيدا
مسرورا .. أما اذا تجاوز انفاقك السنوى العشرين
جنيها ولو بستة بنسات .. فسوف يحل الشقاء
والخراب .. ستدبل الزهور .. وتجف أوراق
الشجر .. وتغيب الشمس فى الصحراء ..
باختصار .. ستصبح مفلسا .. مثلى تماما .. !!

وحتى يؤكد مستر ميكابر نصيحته تلك ، أخذ
يفنى ويرقص ..

وفى صباح اليوم التالى ، رحلوا وتركونى وحدى
ولم يعد أمامى سوى أن أقرر الذهاب إلى عمتى الكبرى
مس بيتسى تروتورد .. قريبى الوحيدة التى أعرفها

وهكذا جمعت حاجياتى القليلة ووضعتها فى
صندوق .. وخرجت إلى الطريق .. وعند أحدى النواصى،
رأيت شابا يقف بجوار عربة، فقلت له :

- هل يمكنك أن تحمل هذا الصندوق حتى تضعه
فى العربة المسافرة إلى دوفر .. كم تريد مقابلـا
لذلك .. !؟

فقال الشاب :

- سته بنسات .

وبالرغم من عدم ارتياحى لنظر ذلك الشاب ، فقد وافقت ، ووضعت الحمندوق على العربية الصغيرة ^{ما}لتى كان يقف بجوارها . واخرجت حافظة نقودى لأعطيه أجره الذى اتفقنا عليه .. وفجأة انقض الشاب على حافظة النقود وخطفها من يدى ، وانطلق هاربا بأقصى سرعة .

وفي اللحظة التالية ، أصبحت مفلسا وبلا نقود .. ولم أعد أمتلك شيئا فى هذا العالم .. وهكذا بدأت طريقي إلى دوفر .. سيرا على الأقدام !

وعندما وصلت إلى بلاك هيث ، قضيت الليل نائما في أحد الحقول بالقرب من مدرستى القديمة سالم هاوس . وفي صباح اليوم التالي عاودت السير حتى وصلت إلى روشرستر ، ومنها توجهت إلى شاتهام .. وهناك قررت أن أبيع معطفى لأحصل بثمنه على طعام بسد جوعى ..

ودخلت الى مكان صغير ، يجلس فيه رجل عجوز له شكل قبيح . وبمجرد أن رأني ، قال على الفور :

قلت له مندوباً :

- أريد أن أعرف .. هل يمكن أن تشتري معطفاً ..
أعطيك فقط شلنا واحداً وستة ينسات !

فقال العجوز على الفور :

- أوه .. أه ياقلبي .. أه يابطني ! .. لا ..
أعطيك فقط شلنا واحدا وستة بذسمات !

وافقت . . ولكنه لم يعطني النقود على الفور . .
وانتظر فترة طويلة . . ثم بدأ يعطيني النقود في عملاً
صغريرة أخذ يعدها بيشه . . كل نصف بنس وراء
الآخر . .

ثم واصلت بعد ذلك السير حتى وصلت إلى
دوفر . . والى الكوخ الذى تعيش فيه عمتى الكبرى . .
ورأيتها وهى تقف فى الحديقة الملحة بالكوخ . .
وصرخت بمجرد أن شاهدتني أقرب :

— ابتعد عن هنا . . لا أريد أولاًدا فى هذا
المكان !!

فقلت لها متوسلا :

— لو سمحت يامس بيتسى . . أنا دافيد كوبريفيلد .
لقد ماتت أمى وأصبحت بائسا . . !

شم انفجرت فى البكاء ولم استطع أن أوافق
الكلام . . وعندئذ طلبت عمتى من الخادمة أن تستدعى
مستر ديك . .

ووصل مستر ديك بسرعة . . وكان يبدو شبهه
مجنون على نحو ما . . وقالت له عمتى :

— مستر ديك . . هذا هو دافيد كوبريفيلد !

فقال عسقلان ديك :

- اود .. نعم نعم ..

وقالت عمتى :

- الآن .. لا تتظاهر بالجنون بينما أنت في
الحقيقة رجل ذكي .. هذا هو ديفيد كوبرفيلد ..
أخبرني .. ماذا أفعل معه ؟ !

فقال مسٹر دیک وہو ینظر نحوی :

— دعیہ یستحمر !

وأعطوني حماما .. ثم تناولنا العشاء معا
وحكىت لعمتي كل ماحدث .. وكانت عمتي مستغرقة
في الانصات .. ثم قالت :

- انى لا أستطيع أن أفهم لماذا يتزوج الناس ..
ان أمك قد تزوجت .. ثم تزوجت مرة أخرى .. وتلك
المرأة بيحوتى .. تزوجت هي الأخرى !

والتفت عمتى الى مستر ديك وقالت له :

- والآن يا مستر ديك .. اخبرني ماذا افعل معه
ايضا ..

فقال مستر ديك :

- علينا ان نضعه في السرير لينام .. !

۱۰ - فرادر عمتی

كانت عمّي جالسة الى عائدة الافطار حين قالت
لـ :

— لقد كتبت إلى مISTER MARSTON . . . والآن بعد أن تناولت افطارك ، عليك بالصعود إلى السطح حيث MISTER DICK .

١٣

- حاضر !

وقالت :

- آنے قریبی -

وقلت :

- هل هو مجنون قليلاً ؟

قالت :

- كان أخوه ينوي ايداعه في دار للمجانين ..
ولكنى انقذته من هذا المصير ، وسمحت له بأن يعيش
في بيته .. انه رجل عطوف جداً .. وكثيراً ما يقول
نصائح طيبة بالرغم من أنه مجنون قليلاً .. فهو يتحدث
كثيراً عن رأس الملك تشارلس المقطوعة^(١) .. وهو
يكتب شكاوى كثيرة يقول أنه ينوي أن يرسلها إلى
القاضي ليشرح له فيها أحواله وشئونه وأعماله ..
ولكن رأس الملك تشارلس تظهر دائماً لتدخل في هذه
الشكاوى .. ولذلك يبدأ في كتابة شكاوى أخرى
غيرها .. !

وصعدت إلى السطح .. إلى مستر ديك الذي

(١) كان أباع كرومويل قد قطعوا رأس الملك تشارلس الأول

في سنة ١٦٤٩ م.

أراني « طيارة ورقية » ذات خيط طويل ومغطاة كلها بشكاري مكتوبة تتحدث عن رأس الملك تشارلس المقطوعة . وقال مسقري ديك :

ـ بهذه الطيارة أرسل أفكارى الى العالم ..
وكلما صعدت الطيارة الى عنان السماء .. كلما صعدت أفكارى الى اعلى واعلى .. !

وبعد عدة أيام وصل مسقري مارستون وأخته مس مارستون الى بيت عمتي .. وجلسا .. وقالت عمتي :

ـ انت اذن مسقري مارستون الذي تزوج مسمر كوبريفيلد .. ؟

فقال مسقري مارستون :

ـ نعم .. هو أنا ..

وقالت عمتي وهي تشير الى :

ـ وهذا هو ابنها ..

فقال مسقري مارستون مؤكدا :

- نعم . . ولقد فر هاربا من اصدقائه بعد أن ترك عمله . . لقد سبب لنا الكثير من المتاعب ؟

وعقبت مس هارستون على كلامه قائلة :

- انه دون جميع الأولاد . . اسوأ ولد في العالم !

ثم واصل مسقى هارستون كلامه :

- لقد جئت لأعيده معى اذا كان هو مستعدا للعودة . . أما اذا كان غير راغب في ذلك فسوف أغلق في وجهه أبوابى . . وأظن انك في هذه الحالة ستفتحين له أبوابك !

والتفت عمتي الى وسائلقنى :

- هاه . . ما رأيك ؟ . . هل ت يريد العودة معه ؟!

فأجبت على الفور :

- لا . . لا . . انهم يكرهانى . . ولم يعطفا على أبدا . . لقد جعلا أممى تعيش حياة تعيسة . . أرجوائ . . أرجوك يا عمتي . . لاترسليني معهما !

فالتفت عمتي الى مسiter ديك وسألته :

- والآن يا ماستر ديك .. ماذا أفعل معه .. ؟ !

وأخذ مستر ديك يفك طويلا . ثم قال :

- يجب أن أشتري له بعض الملابس !

- سأحتفظ بالولد .. وأنا لا أصدق كلمة واحدة
ما قلته عنه .. أنا أعرف ماحدث تماما .. قبل أن
تزوج امه قلت لها انك ستتصبح أمًا ثانية لابنها ..
ولكن بعد أن تزوجتها أجبرتها على أن تغير مشاعرها
نحو ابنها .. لقد كانت امرأة عطوفة طيبة ، ولكن
كنت تقسو عليها وتقسو على ابنها .. ترده لأن
مجرد رؤيتك كانت تذكرك بمدى قسوتك .

وعندئذ وقف مسْتَر ماردستون بجوار الباب ،
وكان يبدو شاحب الوجه . وقالت عمتى :

- وداعا لك .. وداعا يامس مارديستون .. !

وبعد أن رحل مستر مارستون وأخته .. قبلت
عمتي .. وصافحت مستر ديك .. وقالت عمتي :

ـ من الآن سأدعوك : دافيد تروتوود كوبيرفيلد !

وهكذا بدأت حياة جديدة .. باسم جديد ..

ـ وهكذا ذهبت جميع الحوادث التي جرت لى فيما
مضى بعيدا بعيدا .. وأصبحت مجرد ذكريات ..

١٦ - وبدأت بداية جديدة

سرعان ما أصبحت أنا ومستر ديك أصدقاء مخلصين . وكثيرا ماكنا نخرج معا لتعديل « طيارته الورقية » الكبرى .. وكان يقضى ساعات طويلة كل يوم يعمل بهمة فى كتابة الخطاب الذى ينوى ارساله الى القاضى .. ولكنه كان لاينتهى من هذا الخطاب اطلاقا .. لأن سيرة الملك تشارلس الأول كانت تفرض نفسها على موضوع الخطاب مهما حاول هو أن يتلافى ذكر هذه السيرة . وعندئذ كان يتوقف عن الكتابة ، ويشرع على الفور فى كتابة خطاب جديد .

وكانت « الطيارة » مصنوعة بأكملها من أوراق

الخطابات التي توقف عن اكمالها والقاما جانبا .
وعندما كان يشرع في تطوير « الطيارة » ، كان يبدو في
قمة الاحساس بالسلام والسعادة . وعندما كانت
الطيارة تبتعد عاليا في عنان السماء ، كانت تبدو كما
لو كانت قد أبعدت شعرة الجنون عن عقله . . . أما حين
كانت تهبط الى الأرض وتستقر عليها ، فقد كانت تبدو
في نظره كشيء ميت لا حول له ولا قوة ، وعندئذ كان
يشعر كما لو أنه قد أفاق من حلم . . . وأنه هو والطيارة
قد هبطا الى الأرض معا . . . وعندئذ كنت أشفق عليه
واشعر بالحزن والأسف من أجله . . .

وأصبحت عمتي شديدة العطف على ، واختصرت
اسمي الى « تروت » بدلا من « تروتوود » . . . وفي احدى
الامسيات قالت لى عمتي :

- تروت . . . يجب الا ننسى موضوع دراستك . . .
- فهل تحب أن تذهب الى مدرسة في كانتربيري . . . ؟
- نعم . . . أحب ذلك كثيرا . . .
- عظيم . . . هل تحب أن تلتحق بالمدرسة غدا . . .

وهكذا سافرنا في صباح المد إلى كانتربيري
وعندما وصلنا إلى هناك قالت عمتى :

- علينا أن نذهب أولاً إلى بيت مستر ويكتيفيلد
انه محام !

وتوقفنا أمام بيت قديم جداً ، تبرز نوافذه مطلة
على الشارع . وتؤدي إلى بابه درجتان حجريتان
شديدة البياض . أما النوافذ فقد كانت مصنوعة
من مربعات زجاجية صغيرة غريبة الشكل .

وعندما توقفت العربة أمام باب البيت . رأيت
وجهها أبيض يطل من أحدى النوافذ . ثم فتح لنا الباب
رجل اسمه يورييه هيب له وجه أبيض ، وعينان لهما
لون هو مزيج من الأحمر والبني ، وكتفان مرتفعان ،
وذراعان طويتان نحيفتان . وقد لاحظت ذلك عندما
وقف هذا الرجل بجوار الحصان الذي يجر العربة ،
وبدأ يربت على خده . وسألته عمتى :

- يورييه هيب . هل مستر ويكتيفيلد موجود
بالبيت ؟

– نعم . . . مسْتَرْ ويُكْفِيلْ موجود بالبيت .

وأشار اليها بذراعه الطويلة الى مكان حجرة الاستقبال . . . وفوق رف المدفأة التي تتصدر الحجرة ، رأيت صورة لجنتلمن رمادي الشعر ، تقف الى جانبه سيدة جميلة ذات ملامح طيبة وديعة .

وقال لعمتي :

- أهلا بك يا مس تروتورد .. ماسبب حضورك
الي هنا ..؟

فقالت عمتى :

- هذا هو دافيد تروتوود كوبرفيلد .. وأنا عمتة
الكبرى .. أني أبحث له عن مدرسة يتعلم فيها جيدا
ويعامل فيها معاملة حسنة .. أخبرنى أين أجد هنا مثل
هذه المدرسة .. ؟ !



ودخل مستر ويكنيلد الى الحجرة .

وقال ماستر ويكتيلد :

– توجد هنا مدرسة جيدة .. ولكن دافيد لن يمكنه أن يعيش فيها في الوقت الحاضر .. ومع ذلك فسأخبرك بما يجب عليك أن تعمليه .. أتركيه هنا .. انه ولد هادئ .. وبيت بيته هادئ .. أتركيه معى فى هذا البيت ١

فشكرته عمى شكراء جزيلا .. وواصل ماستر ويكتيلد حديثه :

– تعالى معى لأريك المشرفة الصغيرة التي تتولى شيئاً هذا البيت ..

وصدت بنا إلى الطابق العلوي .. ودخلنا إلى حجرة منظمة ذات رونق جميل ، رأينا فيها فتاة جميلة في مثل عمري ، سرعان ما هبّت واقفة واتجهت إلى ماستر ويكتيلد وأخذت تقبله .. كانت الفتاة تشبه تماماً المرأة الجميلة المرسومة في الصورة .. نفس الجمال الهدائى الوديع الذي لم أنسه أبداً .. بل ولن أنساه أبداً ..

وقال مستر ويكتفيلد :

- هذه هي ابنتي آجنس ..

ثم التفت الى ابنته وقال :

- آجنس .. دافید کوبرفیلد ضیفنا و سیبیقی
معنا .. من فضلك أريه حجرته ..

وبعد أن ذهبنا جميعا لنرى الحجرة ، قررت عمتى أن تعود بسرعة إلى دوفر لتصلها قبل أن يحل الظلام . . ولكن قبل رحيلها انفردت بي وقالت تنسحي :

و قبلتني بسرعة ، و خرجت من الحجرة بعد ان
أغلقت على بابها . . ولذلك فقد اعتقدت أن عمتي غاضبة
مني . ولكنني عندما نظرت خلال النافذة التي تطل على
الشارع . . رأيت كم هي حزينة وهي تدخل الى

العربة . . . لقد تظاهرت بالغضب لتخفى مشاعرها
الحقيقية .

وفي المساء تناولت العشاء مع مستر ويكتفيلد وابنته
آجنس . . وبعد أن انتهينا من العشاء ، غنت آجنس
أغنية لطيفة . . ثم قبلت أباها قبلة المساء وذهبت إلى
حجرتها لتنام . .

أما أنا فقد خرجت لأتجول قليلا في الأماكن
القريبة . . ورأيت عددا كبيرا من البيوت القديمة
والكنائس . وعندما عدت إلى البيت ، رأيت يورياه
هيب وهو يغلق أبواب المكتب .

ولما كنتأشعر بالصداقة والود نحو الجميع ، فقد
جلست قليلا مع يورياه وتحادثنا لبضع دقائق .
ومددت يدي لاصافحه قبل أن أصعد إلى حجرتي . .
وكم كانت يده باردة . . لقد أخذت أمسح يدي بعد ذلك
كما لو كنت أريد أن أمحو آثار يده .

وعندما رقدت على السرير . . كنت لم أزل أحس
بعقلى . . ملمس يده الباردة المبتلة . .

١٧ - آجنس

في صباح اليوم التالي ، ذهبت مع مستر ويكييلد إلى المدرسة . كانت بناء ذا مظهر وقور ، يقع وسط ساحة واسعة . وقدمني مستر ويكييلد إلى الدكتور سترونج ناظر المدرسة .. وكان رجلا غير مهندم ويعمل في التراب ثيابه ، وله شعر رأس أطول من المعتاد .

نظر الدكتور سترونج إلى بعينين باردين . وقال انه مسرور لرؤيتي . ومد يده ليصافحني . وكانت تجلس بجانبه شابة صغيرة شديدة الجمال ، ظننت في

البداية أنها ابنته ، وعلمت فيما بعد أنها مسر
سترونج .. زوجته !

وصحبني الناظر ليرشدنى الى حجرة الدراسة ،
حيث رأيت نحو أربعة وعشرين تلميذا ، كلهم كانوا
مشغولين بمعطالية كتبهم . ووقفوا جميعا عندما دخل
الناظر ، وأشار الى قائلا :

ـ هذا زميل جديد أيها السادة الصفار .. اسمه
تروتورد كوبرفيلد ..

وخرج من بين المقاعد صبي اسمه أدمن .. رحب
بى .. وأرشدنى الى مقعدي .

وشعرت بالغربة بين هؤلاء الأولاد .. فجميعهم
لا يعرفون شيئا عن تجاربى السابقة .. كما انى لا اعرف
شيئا عن كيفية ألعابهم وطرقهم فى التعامل .. وأخذت
أتغبل ماذا يظن هؤلاء الأولاد بي ، اذا علموا انى
كنت أعيش مع أشخاص مثل ميكابر وأسرته .. أو
اذا كانوا قد شاهدونى حينما سرت على قدمى من لندن
الى دوفر جائعا رث الثياب .. !؟

لم أشعر بالارتياح بين هؤلاء الأولاد . . بل ربما
شعرت بالخوف منهم . . لذلك فقد سارعت في الانصراف
عقب انتهاء اليوم الدراسي . وبمجرد وصولي إلى بيتي
مستر ويكتيفيلد تبدلت مخاوفي وتعاستي . وجلست في
حجرتي المنظمة الجميلة أقرأ في كتابي حتى حل موعد
العشاء ، فنزلت إلى الطابق السفلي ورأيت أجنس
جالسة في غرفة المعيشة . وبعد لحظات وصل والدها
مستر ويكتيفيلد . وقال :

— ستكون سعيدا في مدرسة الدكتور سترونج !

وبعد الانتهاء من تناول العشاء أحضرت أجنس
مجموعة من زجاجات الشراب ووضعتها على المائدة
 أمام مستر ويكتيفيلد الذي بدأ على الفور يحتسي الشراب
 كأسا وراء آخر .

وشرب مستر ويكتيفيلد كمية كبيرة . . وغنت أجنس
 بعض الأغانى القصيرة . . ثم جلست بجوار أبيها
 وأخذت تحادثه . .

أما أنا فقد أحضرت كتبى وبدأت فى مذاكرة دروسى . . . وتحضرت أجنس بعض هذه الكتب ثم جلست بجوارى لتساعدنى فى المذاكرة .

والآن . . . بينما اكتب هذه الكلمات من قصة حياتى . . . ما زلت أذكر تماماً كيف أحسست بوداعتها وطبعها الهدىء . . . وكيف أحسست بصوتها الوديع العذب وهى تتكلم . . . وما زلت إلى الآن أشعر بأفضالها على فى تلك الفترة وفيما بعد أيضاً . . .

لقد أحببت من قبل أميلى الصغيرة . . . ولكنى أصبحت أشعر بالفضل . . . والوداعة . . . والسلام . . . والصدق . . . أينما تكون أجنس . . .

١٨ - يورياه هيب .. المتواضع

وبعد ذلك ذهب مستر ويكتفيا إلى المكتب ليواصل عمله . . وفي المكتب رأيت ضوءاً خافتًا . ورأيت يورياد جالساً ويقرأ في كتاب ضخم ، ويتابع كل سطر يقرأ باصبعه . فقلت له :

- إنك تعمل حتى وقت متأخر هذه الليلة يا يورياد :

- هذا صحيح يا مستر كوبريفيلد . . ولكنني لا أشتغل الآن بأعمال المكتب . . إنني أدرس القانون .

- تدرس القانون؟ . . كنت أظن أنك محام كبير :

- لا يامستر كوبريفيلد .. أنا شخص متواضع جدا .. وأمى أيضا متواضعة جدا .. وأعيش معها فى بيت متواضع .. وكان أبى أيضا رجلا متواضعا .. ويعمل فى مهنة متواضعة .. لقد كان خادما فى كنيسة ، ويقوم أيضا بحفر القبور فى ساحتها .

١٧

- وَأَيْنَ هُوَ الْآنِ ..

- في السماء .. ولكن لدينا أشياء كثيرة نحمد الله عليها .. فأنا أحمد الله لأنني أعمل مع مسـتر ويـكـفـيل .. وأتمنـي أـن أـصـبـح محـامـيا ..

- وعندئذ ستشارك مستر ويكييلد في مكتبه ..
وسيصبح اسم المكتب « ويكييلد وهيب » ..

- لا يامستر كوبريفيلد .. انى متواضع جدا
ولا أجرس على فعل ذلك .. ان عمتك سيدة لطيفة ..
وكان يورياه هيب معتادا على تحريك جسمه عندما



١٥٣

بوریاه هیب .

كان يتحدث بكلام طيب عن أى شخص .. و فعل ذلك
عندما كان يحدثنى عن عمتى :

- إنها سيدة لطيفة .. وهى معجبة كثيرا بمس
آجنس .. أليس كذلك .. !؟

فأجبت دون أن أدرى بما أقول :

- نعم .. نعم ..

وسألنى يورياه :

- وأنت أيضاً معجب بها .. أنا متأكد من أنك
معجب بها .. !

فقلت :

- إن أى شخص لابد أن يعجب بها !

- أوه .. شكرًا لك يا مستر كوبرفيلد على هذه
الكلمات .. شكرًا لك .. إنها كلمات صادقة !

وقام متاهباً للانصراف . وهو يقول :

- ان امى تتوقع الان عودتى .. لو انى فكرت فى زيارتنا فى بيتنا المتواضع .. فسوف يسعدها ذلك كثيرا .

فقلت له ان ذلك سيسعدنى أيضا . وقال قبل أن ينصرف :

- ربما ستبقى هنا فى هذا البيت يامستير كوبريفيلد لمدة طويلة .. وربما ستقولى العمل بدلا من ماستر ويكيفيلد فى النهاية ؟ !

- لا .. أنا لا أفكر فى مثل ذلك اطلاقا ..

- أوه .. أنا متأكد من ان ذلك سيحدث .

ووضع يده فى يدى ليصافحنى .. فاحسست بملمس يده وكأنها سمكة .. وحلمت بذلك فى تلك الليلة ..

١٩ - مدرسة الدكتور سترونج

كانت مدرسة الدكتور سترونج رائعة وعظيمة .
وتحتفل تماماً عن مدرسة مستر كريكل . وكانت الثقة
متبادلة بين التلاميذ والمدرسین .. وكنا نشعر جميعاً
بأننا مسؤولون عن نجاح المدرسة في أداء رسالتها .
ولذلك فقد كنا نحب المدرسة ونعمل كل ما يشرفها
ويشرفنا .

وكان بعض التلاميذ يعيشون في بيت الدكتور
سترونج .. وهم الذين أخبروني بأن الدكتور قد تزوج

منذ نحو عام مضى من هذه الشابة الصغيرة الجميلة
التي رأيتها معه .

وكان الدكتور يقوم بتأليف أحد الكتب .. ولكنه
كان بطيناً للغاية ، لدرجة الاحساس بأنّه لن ينتهي
من تأليف كتابه هذا قبل مرور ألف سنة ! .. ولكنه
كان رجلاً طيباً كثير العطف على القراء . ويحكي
الأولاد قصة طريفة عن كرمه .. فقد أعطى معطفه لامرأة
فقيرة .. ولكن المرأة باعه المعطف لتشتري بشمنه خمراً
تشربه .. وبعد مدة ، شاهد الدكتور المعطف معروضاً
في أحد محلات ، فاشترى دون أن يدرك أنه نفس معطفه
الذى ومه للمرأة .

واستلتم خطاباً من بي جوتى كتبت فيه بعض
أخبارها .. قالت أن مسّتر مارستون وأخته مسّ
ماردستون قد رحلا بعد أن أغلقاً البيت .. وأن زوجها
باركيس في حالة طيبة ولكنه شديد الحرث على
نقده .. وأن مسّتر بي جوتى أيضاً في حالة طيبة .

وكذلك هام واميلى الصغيرة .. أما مسر جاميدج فقد
كانت مريضة .

وكانت عمى تفاجئنى بالزيارة فى أوقات غير
متوقعة لترى كيف تسير أحوالى .. ولكنها اطمأنت
 تماماً بعد أن تأكدت من حرصى على التعلم واداء
 واجباتى . وكنت اذهب الى دوفر لزيارتھا مرة كل
 ثلاثة أو أربعة أسابيع .. أما مسٹر ديك فقد كان يحضر
 لزيارتى بصفة منتظمة كل يوم أربعاء .. وكان يحمل
 معه دائمًا حقيبة أوراقه وأخر ماكتبه من خطابه العظيم
 الذى ينوى أن يرسله للقاضى .. !

وأصبحت أيام الأربعاء هذه أسعد أيام مسٹر
 ديك .. اذ سرعان ما أصبح معروفاً ومحبوباً من جميع
 تلاميذ المدرسة .. كان لا يشارکهم في اللعب ، ويكتفى
 بمشاهدة العاب التلاميذ وينفعل بها .. وكان
 يجد متعة عظيمة وهو يتفرج على الأولاد وهم يمرحون
 ويلعبون على الثلوج المتساقطة .

وكان مسْتَر دِيك يجيء صناعة لعب مثل القوارب والعربات الصغيرة . . . يصنعها من مواد غريبة ويعلم الأولاد كيف يصنعونها . ولذلك فقد أحبه جميع الأولاد وأصبحوا ينتظرون موعد مجئه للزيارة القادمة .

وكان يحترم الدكتور سترونج ، ويقف أمامه بأدب
بالغ بعد أن يخلع قبعته . . . وسرعان ما أصبح هو
والدكتور صديقين حميمين . بل وبدأ الدكتور يتلو عليه
بعض صفحات من الكتاب الذي يقوم بتأليفه . . . وعندئذ
كان مستر ديك ينصلت بامعان ويشرق وجهه بالسرور . .
بالرغم من يقيني بأنه لايفهم كلمة واحدة مما يقوله
الدكتور . .

٢٠ - تناولت الشاي مع يورياد هيب

وفي عصر أحد أيام الخميس . قابلت يورياد هيب
في الشارع . فقال لي :

- لقد وعدتني بأنك ستحضر لتناول الشاي معنا
أنا وأمى . ولكنني أتوقع أنك لن تقبل هذه الدعوة .
فنحن ناس متواضعون جدا .

وحتى تلك اللحظة ، لم أكن قد أدركت بعد هل أنا
أحب يورياد هيب أم أكرمه . ولكنني أخبرته بأنني على
استعداد لقبول دعوته . فقال :

- إن أمى ستكون فخورة بذلك .

وسالته :

- هل مازلت تواصل دراسة القانون .. ؟

فأجاب :

- ان قراءتى لكتب القانون لا ترقى الى مستوى لدراسة .. ففى بعض الامسيات أقضى ساعة او ساعتين فى قراءة كتب القانون .. ولكننى أصادف بعض الصعوبات .. فهناك بعض الكلمات والمصطلحات مكتوبة باللغة اللاتينية ولا استطيع أن أفهمها ..

- هل تحب أن أساعدك في تعلم اللاتينية .. ؟

- أوه .. شكرا لك يامستر كوبرفيلد على هذا العرض الطيب .. ولكننى متواضع وذليل ولا استحقه هانحن قد وصلنا الآن الى بيتنا المتواضع !

ودخلنا الى غرفة منخفضة السقف . وقالت مسر هيب (أم يورياه) وكانت تشبهه الى حد كبير وان كانت اقصر منه طولا . وقد استقبلتني بتواضع شديد وهى تقول :

- ان هذا يوم لا ينسى يا عزيزى يورياه . . . ان حضور مسـتر كوبـرفـيلـد لـزيـارتـنا يـعـتـبرـ شـرـفـاـ كـبـيرـاـ لـنـاـ .

ثم التفت الى وقالت :

- كان عزيزى يورياه يخشى أن يمنعك تواضعنا وفقرنا من تلك الزيارة التي وعدته بها . . فنحن متراضعون جدا وقراء . . وسنبقى هكذا دائما . .

فقطت مذهشا :

- ولكن على يقين من أنه ليست هناك حاجة لأن تكونا متراضعين بهذا الشكل . .

فقالت مسر هيب :

- شكرا لك يا سيدى !

وجلسـتـ مـسـرـ هـيـبـ بـالـقـرـبـ مـنـيـ . . وجـلـسـ يـورـيـاهـ أـمـامـيـ . . وأـخـذـاـ يـعـطـيـانـيـ أـفـضـلـ قـطـعـ الطـعـامـ المـوـجـوـدةـ عـلـىـ المـائـةـ .

تحدثـاـ عـنـ خـالـاتـهـماـ وـعـمـاتـهـماـ ،ـ فـتـحـدـثـتـ عـنـ

عمتى . . ثم تحدثنا عن الآباء والأمهات ، فتحدثت عن أبي وأمى . . ولكنني توقفت فجأة بعد ان تذكرت ان عمتي نصحتنى بala أتحدث فى هذا الموضوع مع أحد . .

ومع ذلك فقد فقدت المقاومة مع يورياد هيبوأمه اللذين استدرجاني الى الحديث فى كل ما كانا يرغبان معرفته . . حتى تلك الاشياء التي لم اكن ارغب في ذكرها .

وعندما انتهيا من معرفة كل ما كان يرغبان فيه ، حولا مجرى الحديث الى ذكر اخبار مسـتر ويـكـفـيلـد وابنته آجنس . . الأشغال الكثيرة التي يعملها . . وكيف يقضى وقته بعد تناول عشاءه . . والخمر الكثيرة التي يشربها . . وهكذا وجدت نفسي متورطا في ذكر جميع الاشياء التي لا يجب أن اذكرها . .

وبدأت أتعلمل وأرغب في انهاء هذه الزيارة . وفجأة : رأيت رجلا كان يسير في الشارع . . ولكنه توقف أمام باب الحجرة وأطل برأسه الى داخلها ، وصاح مدهشا :

- كوبريفيلد !! .. هذا مستحيل !!

كان هذا الرجل هو مستر ميكاؤبر بعينه !!
والحقيقة أني كنت لا أريد أن يعرف يورياه هيب
ولا أمه أني أعرف رجلاً مثل مستر ميكاؤبر .. ولكن
هذا الأمر انتهى تماماً .. بعد أن استقر مستر ميكاؤبر
في صيادلة :

- يا عزيزى كوبريفيلد .. إنها حقاً مصادفة
مدهشة !

ثم التفت إلى يورياه وأمه وقال لهما :

- إنها مفاجأة عظيمة .. لقد اكتشفت أن صديقى
كوبريفيلد يتناول معكما الشاي .. وسيكون من دواعى
الشرف بالنسبة لى أن يعرفكم بي ويعرفنى بكما ..

فقمت بذلك على مضمض ..

وقالت مسز هيب :

- إننا ناس متواضعون .. وقد شرفنا مستر

كوبرفيلد بقبول الدعوة لشرب الشاي معنا .. إننا
نشكر له هذا الجميل !

وقال مستر ميكاوبر يحستنى :

- والآن .. ماذا تعمل يا كوبرفيلد ؟

نفقت له :

- أني أدرس بمدرسة الدكتور سترونج .

ولأنى أصبحت راغبا الآن فى إنهاء الزيارة فورا
ومصاحبة مستر ميكاوبر إلى الخارج ، فقد قلت له وأنا
أهم بالقيام :

- وكيف حال مساز ميكاوبر ؟ .. هل يمكننى
الذهاب معك لزيارتها .. ؟

قال وهو يتذهب للانصراف معى :

- سيكون - هذا من دواعى سرورى .

وذهبت معه إلى حانة صغيرة كان يعيش مع زوجته
في أحدى حجراتها . وسألتها مستفسرا :

- ولكن . . . لماذا جئتما الى هذه المنطقة ؟

فأجابت مسز ميكاوبر :

- بعض أقاربي يقيمون هنا . . . وكنت أتوقع أنهم سيساعدوننا بایجاد عمل لستر ميكاوبر . . . ولكنني شعرت بأنهم غير مسرورين لرؤيتنا . . . وكان الشيء الوحيد أمامنا هو أن نفترض منهم بعض النقود لنتمكن من العودة إلى لندن . . . ولكننا توقفنا هنا لعلنا نجد عملا في صناعة الفحم . . .

و قبل أن تنتهي الزيارة طلبا مني أن أقبل الدعوة لتناول العشاء معهما في اليوم التالي . . . ولم استطع رفض الدعوة . . .

وفي عصر اليوم التالي ، استدعيت من حجرة الدراسة ، فخرجت ورأيت مستر ميكاوبر ينتظرني ويخبرني بأن العشاء جاهز .

وفي المساء رأيت مستر ميكاوبر ويورياه هيب يسيران معا ذراعا في ذراع . . . ولم يسرني هذا المنظر ولم أرتع له . . .

وبعد ظهر اليوم التالى ، ذهبت لزيارة مستر
ومستر ميكابر فى الحانة .. وتناولنا العشاء معا ..
وأخذ يحدثنى عن يورياه قائلا :

ـ ان صديقك يورياه هيب .. له عقل كبير واسع
الادراك ..

وكان العشاء طيبا .. وكان مستر ميكابر فى
غاية المرح .. وغنى أغانيات كثيرة .. وعشنا جميعا
لحطات رائعة من الصدقة واللود .. ولا اظن انى رأيت
احدا فى حياتى أسعد وأهلا من مستر ميكابر فى تلك
الأمسية ..

ومع ذلك .. ففى الساعة السابعة من صباح
اليوم التالى ، تلقيت هذه الرسالة العاجلة :

ـ « لقد انتهى كل شيء .. ولم يعد هناك أمل فى
الحصول من اقارب زوجتى على أية نقود .. لقد
اصبحت عاجزا عن سداد ما انا مدين به .. وسيكون
 المصيرى السجن فورا .. وهذا آخر ماسوف تسمعه
عنى » ..

اندهشت وشعرت بالخوف والاضطراب بسبب هذه الرسالة المفاجئة . وانطلقت صوب الحانة لعلى استطيع ان اقدم اية مساعدة ..

ولكن بينما كنت منطلقا في الطريق .. رأيت عربة السفر الى لندن منطلقة هي الأخرى .. وفي مؤخرتها كان يجلس مستر ميكابر وزوجته .. وكان يبدو في قمة السعادة ويقهره ضاحكا على شيء قالته مسز ميكابر فيما يبدو .. وكانا يأكلان بعض الحلويات من لفة ورقية كانت تضعها مسز ميكابر على ركبتيها ..

الجزء الرابع

العالم ..

٢١ - وتركت المدرسة

انتهت دراستي بالمدرسة ، وأصبح من الضروري أن نتناقش أنا وعمتي في موضوع مستقبلى ونوع العمل الذى سأشغله . وقالت عمتي :

- ان هذا موضوع هام .. وعلينا أن تكون حريصين ولا نرتكب خطأ .. وعليك أن تفكك فى هذا الأمر كرجل ناخرج ، وليس كتلميذ فى مدرسة !

فقلت لها :

- سأفعل ذلك يا عمتي !

- اذن .. اعتقد ان السفر وتفجير الجو سيكونا مفيدة .. ان ذلك سيساعدك على التفكير واتخاذ القرار المناسب .. واقترح عليك ان تقوم ببرحة لزيارة عائلة بيجوتى !

- هذه خير رحلة اقوم بها .. انى احب ذلك كثيرا ..

وهكذا .. ذهبت اولا الى كانتربرى لأودع أجنس وأباهما مستر ويكيبلد . وقلت لها :

- سأشعر بال الحاجة اليك دائمآ .. ان اى شخص يحتاج عونك ، تكونين له خير عون .. يا أجنس !
فقالت أجنس :

- انى طيبة مع الجميع .. والجميع طيبون معى .
وقلت لها وانا اشعر بمنتهى الود :

- كلما واجهت مشكلة .. او اذا وقعت فى الحب .. فسوف اخبرك .. اذا سمحت لى بذلك ..

فقالت :

- ولكنك كنت تقول لي دائمًا أن أمور حبك تسير
على مايرام ..

- أوه .. لقد كنت طفلاً وأحببت طفلة .. واني
أعجب لماذا لم تقع حتى الآن في الحب ..؟!
أدانت أجنس عينيها خجلاً .. ولكنها بعد لحظة ،
نظرت إلى باهتمام وقالت لي :

- هناك شيء أريد أن أسألك عنه .. لم تلاحظ
حدوث أي تغيير طرأ على أبي ..؟!

وكلت بالفعل قد لاحظت حدوث عدة تغيرات .
فهزّت رأسى علامة على معرفة بعض الملاحظات .
وسألتني أجنس :

- هل تستطيع أن تخبرنى بما لاحظت ..؟

فقلت بصراحة :

- اعتقاد أنه يضر نفسه بالافراط في تناول

الشراب . . . لقد أصبحت يداه ترتعشان . . . كما انه أصبح لا يستطيع الحديث بوضوح . . . وكذلك نظرات عينيه أصبحت وحشية وغير طبيعية . . . وقد لاحظت انه عندما يكون في أسوأ حالاته فان أحدها يستدعيه دائماً
لأداء بعض الأعمال . . .

– تقصد يوريyah هيب ؟

– نعم . . . وكان مستر ويكيبلد يشعر عندئذ بأنه قد أصبح عاجزاً عن أداء عمله . . . وفي كل يوم كانت حالته تزداد سوءاً . . . وفي احدى المرات ، رأيته وقد أسد رأسه على المنضدة وكان يبكي مثل الأطفال !

وعندما نويتمواضلة الرحلة الى لندن ، ساعدى
يوريyah هيب في ربط صندوق سفرى .

وأخيراً . . . وصلت الى لندن . . .

وذهبت الى المسرح ذلك المساء . . . وعدت الى الفندق الذي استأجرت غرفة فيه . . . وبينما كنت في طريقى الى تلك الغرفة ، دخل الى صالة الفندق رجل

أعرفه جيدا . برغم أنه لم يعرفي لأول وهلة . . . وعلى الفور فاض قلبي وامتلا عقلي بالذكريات الحلوة التي كانت تربطني في الماضي بهذا الرجل . فانطلقت إليه وسائله مندهشا :

- ستيرفورث ! . . . إلا تريد أن تتحدث معي !؟ . . .

وفي الحال تنبه سيرفورث وقال :

- من ؟ ! . . . كوبرفيلد الصغير . . . !؟

- يا عزيزى سيرفورث . . . كم أنا سعيد برؤيتك !

- وكم أنا أيضا سعيد برؤيتك . . . ان أمى تعيش في مكان قريب . . . خارج لندن .

وتوعدنا على اللقاء للافطار صباح اليوم التالي .
وقال ستيرفورث عندما التقينا :

- ما رأيك في البقاء معي في هاى جيت لمدة يوم أو يومين ؟ . . . انى أحب ان أعرفك الى أمى . . . فهى سيدة طيبة وشديدة الفخر بي . . . وتتحدث عنى دائما .

فاغفر لها ذلك .. وأنا على يقين بأنها ستر كثيرا
برؤيتها .

وعلى هذا فقد ذهبتنا الى هاى جيت بعد عصر ذلك اليوم .. ووصلنا الى بيت قديم مبنى بالطوب .. ورأيت سيدة عجوزا كانت تقف عند بابه .. وعرفت أنها أم ستيرفورث .. وقابلتني بترحاب ، وأدخلتني الى غرفة المعيشة .. حيث وجدت سيدة أخرى سوداء الشعر والعينين ، وعلى خدها علامة تبدو كما لو كانت أثرا لجرح قديم .. وكان اسم هذه السيدة مس دارتل .. ولكن ستيرفورث وأمه كانوا يدعوانها روزا ..

وعندما أصبحنا وحدنا .. توقعت أن يحدثنى ستيرفورث عن مس دارتل .. ولكنه لم يقل شيئا ..
فسألته :

ـ إنها تبدو ذكية .. أليس كذلك ؟

فقال على الفور :

ـ ذكية ؟ .. إنها تزداد صرامة عاما وراء عام ..
إنها متطرفة في كل شيء .

- وهذه العلامة الغريبة التي تبدو في وجهها !! ..

- الحقيقة .. أني كنت السبب في تلك العلامة

- هل كان ذلك نتيجة لحادث ؟

- كنت عندئذ طفلا صغيرا .. وأغضبتني فقزفتها
بمطرقة ..

- أني أسف .. لأنى تسببت فى هذا الحديث
المؤلم ..

قال ستيرفورث :

- لقد حملت هذه العلامة على وجهها منذ ذلك
الزمن .. وستظل تحملها حتى تذهب إلى قبرها .. !

- أني لاأشك في أنها تحبك كاخ لها ..

أما ممز ستييرفورث فقد كانت تحب ابنها جيا
جما .. وتبدو وكأنها لاتفكر في أى شيء آخر أو
لاتتحدث عن أى شيء آخر سواه .. فقد أرتنى جميع
صوره .. منذ أن كان طفلا صغيرا .. وحين كان

صبيا يافعا أيام عرفته لأول مرة في مدرسة مستر
كريكل ..

وكان تحفظ بجميع الخطابات التي أرسلها
لها منذ سنوات بعيدة وحتى وقت قريب .. وكانت تريد
أن تقرأ لى كل هذه الخطابات لو لا أن منعها ستيرفورث
من الشروع في ذلك ..

وعندما صعدت إلى غرفة نومي .. لاحظت وجود
صورة لمن دارت موضوعة فوق رف المدفأة .. وكانت
تبدو كما لو أنها تمعن النظر إلى بعيونها السوداءين ..
وتلقى إلى باسئلة شتى ..

وكان هناك خادم هادئ جدا اسمه ليتيمير يبدو كما
لو كان قوقة أغلقت الصدفة على نفسها .. وكان
يحضر إلى حجرتي كل صباح ليسألني سؤالا واحدا
لا يتغير :

- إن مسpector ستيرفورث يحب أن يعرف هل قضيت
وقتا مريحا .. ؟

وكت أقول له :

ـ شكر لك .. أنا بخير .. وكيف حال مستر
ستيرفورث .. ؟

وكان يقول :

ـ بخير .. هل يمكننى أن أقوم بأية خدمة لك
ياسيدى ؟

ـ لا .. اشكرك ..

ـ شكر لك ياسيدى ..

ثم ينصرف بهدوء شديد ويخرج من الحجرة ..

٢٢ - ستيرفورث يزور عائلة بيجوتي

اصر ستيرفورث على أن يصاحبني في رحلتي الى يارماوث لزيارة عائلة بيجوتي . وعندما وصلنا الى تلك البلدة ، وعدته أن نذهب سويا لزيارة العائلة في المساء ، واستقذنت منه لفترة ، ذهبت فيها وحدي لزيارة بيت مستر باركيس . وهناك شاهدت بيجوتي وكانت منهكة في اعداد وطهي طعام العشاء . سالتها :

- هل مستر باركيس موجود بالبيت ؟ ..

فأجبت دون أن يبدو عليها أنها عرفتني :

- نعم .. هو بالبيت .. ولكنه يرقد على سريره
مريضا !

ولكنها تنبهت بعد ذلك الى وجودى . فخطت خطوة
الى الوراء وصاحت في لهفة :

- اوه .. يا بني العزيز !!

وفي لمح البصر كان كل منا بين أحضان الآخر ..
ثم صعدت الى حجرة النوم بالطابق العلوي ..
وفرح باركيس بحضورى لزيارتة ..

كان راقدا على ظهره فوق السرير ولا يتحرك الا
بصعوبة شديدة . ولكنه كان قادرا على الكلام بشكل
متواصل . وبينما كان يحدثنى ، جمع كل قواه ، وأمسك
بعصا كانت مسنودة الى جانب السرير ، ثم مدها الى
تحت السرير ليتحسس بها صندوقا كان موضوعا فى
ذلك المكان ^ج وبعد ان تأكد من وجود الصندوق فى
مكانه ، فاقھن وجهه بالبشر والفرح . وقال لى :

- ملابس قديمة .. ليس فى هذا الصندوق سو

بعض الملابس القديمة .. كنت أتمنى أن يكون ملوءا
بالنقود .. !

- وأنا أيضاً أتمنى لك نفس الأمانية .

- شكرًا .. ولكن ليس فيه الآن إلا بعض الملابس
القديمة .

وبعد أن غادرنا الغرفة ، شرحت لى بيوجوتي كيف
يحافظ باركيس على أمواله .. وأن أشد اللحظات الما
بالنسبة له ، تكون حين يحتاج البيت إلى بعض النقود .
فيضطر عندهـ إلى فتح الصندوق لاخراج النقود
المطلوبة ، وقلبه يكاد أن ينفطر حزناً وألمـاً !

وبعد العصر ، قابلت ستيرفورث وصحبته منى
لزيارة بيت مستر بيوجوتي . واستقبلنا الجميع بفرح
وسرور بالغ . وكان أكثرهم فرحاً مستر بيوجوتي الذي
صاح بيـ قائلاً :

- هذا شيء مدهش .. مصادفة سعيدة أن تحضر
لزيارتـا هذه الليلة بالذات .. بهذه الليلة دون كلـ

الليالي ، هي اسعد لياليينا كلها .. فقد طلب هام من
أميلي الصغيرة ان تتزوجه !!

دق قلبي بشدة حين كنت أسمع هذه الأخبار ..
وحين رأيت السرور باديها على وجه هام بعد ان فاز
بتلك المخلوقة الصغيرة الجميلة .. واحسست بفحة
مؤلمة في قلبي بعد ان تبين لي اني مازلت أحب أميلي
الصغيرة .. ولكن كل امل في هذا الحب قد تبدد في
لحظة خاطفة .

لزمت الصمت تماما ، ولم اعرف ماذا أقول في تلك
المناسبة الحافلة بالمشاعر .. ولكن ستيرفورث قال
الكلمات الصحيحة التي يجب ان تقال في مثل تلك
المناسبات :

- مستر بيوجوتي .. انك رجل طيب ولك كل الحق
في ان تكون سعيدا كل هذه السعادة في هذه الليلة ..
اما انت ياهام .. فاني اتمنى لك السعادة والفرح ..

وجلسنا جمیعا حول نار المدفأة .. واخذ

ستيرفورث يحدث اميلي الصغيرة عن المراكب
والصيادين والسمك . . ثم أخذ يحدث مستر بيجوتي
عن الفترة التي قضيناها سويا في مدرسة سالم
هاوس .

وطوال هذه الأحاديث ، كانت اميلي الصغيرة تنظر
إلى ستيرفورث باهتمام ، وتنصت بامتعان إلى كل كلمة
قالها . . لقد ثبتت عينيها عليه وكأنها لم تكن ترى
أحدا سواه !

وامتدت بنا السهرة إلى قرب منتصف الليل . .
و قبل أن ننصرف . تهيا الجميع لوديعنا عند باب
البيت . . ثم ظلوا يراقبوننا حتى تلاشى منظرنا في
ظلام الطريق .

ووضع ستيرفورث ذراعه في ذراعي وسرنا . .
وبعد لحظة قال ستيرفورث :

- كم هي جميلة تلك البنت الصغيرة . . إنهم ناس
مدحشون . . يعيشون في مكان غريب وبيت
غريب . . أني سعيد بتعرفني وأختلاطى بمثل هؤلاء

الناس . . . ومن حسن حظنا أننا وصلنا إليهم في ليلة
تتالت فيها سعادتهم . . . ولكنني لاحظت أن هام لا يثير
اهتمام الفتاة . . . وأعتقد أنها غير فرحة به . . . أليس
ذلك !؟

أدهشتني سمعاً تلك الكلمات . . . ولكنني لاحظت
أن ستيرفورث يضحك بعد أن قال كلماته . . . فقلت له
وأنا أحاول أن أجواز تلك الدهشة :

— ستيرفورث . . . أني أعرفك جيدا . . . إنك تحاول
أن تخفي طيبتك وراء الضحك . . . وأنا سعيد لأنك تعرفت
على هؤلاء الناس البسطاء وهم يعيشون أسعد
أوقاتهم . . . !

٢٣ - في يارماوث

قضينا أنا وستيرفورث نحو ثلاثة أسابيع في تلك المنطقة . وفي بعض الأحيان كنا نخرج إلى البحر مع مستر بيجرتى في مركبه . ولكن لم أكن أرى ستيرفورث كثيرا . فد كنت أذهب في أغلب الأوقات لزيارة الأماكن القديمة والأصدقاء القدامى الذين كنت أعرفهم جيدا وكانت تربطني بهم ذكريات ماضية .

ذهبت لزيارة بيتنا القديم .. لقد جفت الحديقة ولم يعد يعتنى بها أحد . وتساقطت الكثير من أشجارها أو اجتثت !

وفي احدى المرات عدت متأخراً أكثر من المعتاد الى
بيت مستر بيجوتى ، فلاحظت أن ستيرفورث كان لم ينزل
جالساً أمام المدفأة ومستغرقاً في تفكير عميق . فتقدمت
إليه ووضعت يدي على كتفه ، فهب واقفاً وقال وقد
أخذته المفاجأة :

ـ اوه .. لقد جئت كما يأتى الشبح !

فقلت له :

ـ أرى أنى أخرجتك من أحلام كنت مستغرقاً
فيها .

فقال بفبرة لا تخلو من حزن :

ـ كنت أتخيل في لهيب النار صوراً تكاد أن تكون
حية .. كنت أفكر في أن كل الناس الذين نراهم الآن
سعداً .. سياتي يوم يتفرقون فيه أو يموتون .. كنت
أتمنى وأنا جالس وحدي هكذا لو كان لي أب حكيم
ينصحني أو يرشدني خلال العشرين عاماً الماضية ..
ولكن على أن أنصح نفسي بنفسى .. وكم أتمنى أن
أنجح في ذلك !

لقد اندمشت لحزنه . وسألته السبب في تلك
الحالة ، ولكنه أخذ يضحك وهو يأخذ بذراعي ويهم
باصطحابي إلى خارج البيت . وقال :

- أبداً .. لا شيء .. لا شيء بالمرة !

ومرت لحظة ثم قال مواصلًا الحديث :

- هل تعلم أنني اشتريت قارباً سأقوم بتشغيله في
هذه المنطقة ..؟!

فصحت مذهلاً :

- يالك من شخص غريب يا ستيرفورت .. لماذا
فعلت ذلك .. وربما لاترغب في زيارته هذه المنطقة مرة
أخرى ؟

فقال على الفور :

- لا .. حسدي .. لقد أحببت المكان ..
واشتريت القارب لأظل بهذه المنطقة .. وسيقوم
مستر بيجرتي بالعناية به وتشغيله في الفترات التي

لا اكون فيها هنا .. ولابد ان اعيد طلاء القارب ..
وساكلف ليتيم ان يقوم بهذا العمل .. هل تعلم بأنه
جاء الى هنا .. ؟

- لا ..

- لقد وصل هذا الصباح .. ان القارب اسمه
الآن « طائر العاصفة » .. وسوف اطلق عليه اسمًا
جديدا ..

- ماذا تنوى ان تسميه .. ؟

- سأسميها « اميلي الصغيرة » .. !!

- ولكن .. أين ذهبوا جميعا .. انى لا ارى احدا
منهم فى البيت .. !؟

فقال ستيرفورث فجأة :

- هام .. انظر هناك .. لقد عادت اميلي
الصغريرة « الأصلية » .. ومعها هام ..

وعندما رأت اميلي الصغيرة ستيرفورث عن بعد ،

انزلت ذراعها من ذراع هام .. وسارت وحدها وظهر
عليها شيء من الاضطراب .

وفجأة ظهرت سيدة شابة .. كانت تبدو وكأنها
تبعد خطوات اميلى وهام .. وكانت ترتدى ملابس رثة
فقيرة ، وتظهر فى وجهها ملامح حزينة . فقال
ستيرفورث :

- انى مندهش .. من هى هذه المرأة ذات الظل
الأسود .. ولماذا تتبع خطوات الفتاة .. ماذا يعنى
هذا .. ومن أين جاءت هذه المرأة .. ؟ !

وكنا قد وصلنا الى الحانة ، فدخلنا وتناولنا طعام
عشائنا . وبعد أن انتهينا من ذلك . وصل ليتيمرو وقال :

- لقد وصلت مس هاوشير الى هنا ..
فتساءل ستيرفورث :

- وماذا تفعل هنا ..

فأجلب ليتيمرو :

- يبدو أنها تعمل في هذه المنطقة أيضا .

وفتح باب الحانة . ودخلت امرأة ضئيلة الجسم ، في حوالي الأربعين أو الخامسة والأربعين من عمرها . . . فاستدعاها ستيرفورث لكي تقص له شعره . فهى حلاقة تمتهن حرفة العناية بشعر الرجال والسيدات وكانت تحمل حقيبة أخرجت منها مجموعة من الزجاجات وعدة أشياء أخرى ، وشرعت على الفور فى عملها . . . ولكنها لم تتوقف عن الحديث لحظة واحدة . . . وأخذت تحكى قصصا وأخبارا عن جميع السيدات الجميلات من زبائنها . ولكنها قالت :

- آه . . . يبدو أنى لن أجد عملا هنا . . . فلم أر أية سيدة جميلة منذ أن وصلت إلى هنا . . .

فقال ستيرفورث :

- اعتقد أن باستطاعتنا أن نريها أحدى الجميلات اللاتى يعشن فى هذه المنطقة .

فقلت مصدقا على قوله :

- نعم . . . إنها شابة جميلة . . . اسمها أميلي . . . يامس ماوشير .

فقالت الحلاقة :

- آهاه !

ولم استرح الى منظر هذه الحلاقة ولا الى طريقتها
في الكلام . ولذلك فقد قلت بنغمة أكثر جدية :

- انها حقاً جميلة ، ولكنها طيبة أيضاً .. ولقد
وعدت بالزواج شخصاً من مستواها ويناسبها تماماً ..
اسمه هام

فقالت مس ماوشير :

- اوه .. حقاً .. هذا شيء رائع !

وجمعت الحلاقة زجاجاتها وأدواتها ووضفتها في
الحقيبة .. واعطاها ستيرفورث أجرها .. ثم انصرفت
ومى توacial الكلام حتى آخر لحظة .

وذهبت بعد ذلك الى بيت مستر باركيس ..
واندهشت عندما رأيت هام يتمشى جيئة وذهاباً خارج
البيت . وقال عندما رأني :

- ان اميلي بداخل البيت .. انها تتحدث مع
إنسانة كانت تعرفها في الماضي .. ولا يجب أن تعرفها

الآن .. امرأة مسكينة يا مستر دافيد .. والناس في هذه
المدينة الصغيرة لا يعرفون عنها شيئاً ..

- لقد رأيت هذه المرأة .. وكانت تتبع خطواتهما .

- اوه .. نعم .. لقد وقفت تحت نافذة اميلي
ونادت عليها : اميلي .. اميري .. اشتفقى على ..
لقد كنا زميلتين نعيش سويا نفس الحياة ! .. فطلت
اميلى من النافذة وقالت : من .. أهذه أنت يا مارتا ؟
لقد كانت اميري تعمل مع مارتا هذه فى متجر مسـتر
أومار .. وربـت اميري أن تلتـقى مع مارـتا هنا .. فى
هـذا الـبيـت .

وانفتح بـاب الـبيـت وظـهرت بـيجـوتـى .. واستـدـعـت
هـام لـدخول .. وـكـانـت تـبـكـى .. وـكـذـلـك كانـت تـفـعل
امـيرـى .. وـقـالت لـهام :

- انـها تـرـيد الـذهـاب إـلـى لـندـن ..

فـأـعـطاـها هـام بـعـض الـنقـود .. وـهـبـت مـارـتا وـاقـفة ..
وـكـانـت تـحـاـول أـن تـتـكـلـم بـشـء .. وـلـكـنـها لم تـفـعـل وـلـم
تـسـتـطـع .. وـانـصـرـفـت وـهـى تـبـكـى ..

٢٤ - حفلة مرحة

رتبت عمتي أمر تدريبي على أعمال المحاماة لدى مكتب « سنبلو وجوركينز » بلندن . . ودفعت للمكتب أجر تعليمي هذا العمل .

وهكذا أصبحت أعيش في شقة مستقلة تقع بمبني مجاور للمكتب . . وكم هو جميل أن يشعر الإنسان أنه يعيش في مكان مستقل لا يشاركه فيه أحد . . ولكن وبالرغم من ذلك فقد كنت أشعر كثيراً بقسوة الوحدة . .

وذات صباح فوجئت بحضور ستيرفورث . فصحت فيه مرحباً :

- يا عزيزى ستيرفورث .. كنت أظن أنى لن أراك
أبدا .. هل تبقى لتناول الافطار معى ؟ ..

- لا لا .. لا استطيع .. فانا على موعد مع
بعض الأصدقاء ..

- ستحضر اذن لتناول معى طعام العشاء ؟ !

- لا استطيع .. فلا بد أن أقضى الليلة مع اثنين
من أصدقائي ..

- ولماذا لا تدعو صديقك لتناول العشاء جميرا
هنا ؟ ..

فوافق ..

ومكذا أعددنا حفلة عشاء مرحة ، تناولنا فيها
الكثير من النبيذ .. وافرطت في الشراب حتى أصبحت
أكثر مرحاً وابتهاجاً .. والقيت خطبة .. كما القى
ستيرفورث خطبة أخرى .. ثم شربنا نخب الجميع
فرداً فرداً ..

ثم توجهنا جمِيعاً إلى المسرح . . . وهناك رأيت
أجنس . . . وعندما التقى عيوننا ، لاحظت ملامح الحزن
والدهشة تتبدى واضحة على وجهها . ومع ذلك فقد
صحت مهلاً :

- أجنس . . . أجنس . . . هذا شيء عظيم أن أرى
أجنس !!

فقالت على الفور محاولة إسكاتي :

- الصمت . . . لا تصنع كل هذه الضجة ! . . .
صحت متدهشاً :

- أجنس !!

فقالت بصوت منخفض :

- إنك في حالة غير طيبة . . . اسمع . . . ان عليك
ان تنصرف الآن ! . . .

فقلت بصوت غبي :

- انصرف الآن . . . لماذا ؟ !

قالت بحزم :

ـ اسمع .. انى اعرف انك ستطيعنى .. عليك
ان تصرف الان .. اطلب من اصدقائك ان يصعبوك الى
بيتك .

وفي صباح اليوم التالي ، وبينما كنت اتأهّب
للخروج من البيت ، تلقيت رسالة من أجنس :
« عزيزى ترتوود .

انى اقيم مع مستر ومسن ووتربروك ، فى ايلفنج
بليس ، هولبورن .. هل تأتى لزيارةى اليوم ؟ »
وكتبت خمسا او ست اجابات على تلك الرسالة ..
محاولا الاعتذار وابداء الاسف على ماحدث منى ليلة
الامس بالمسرح .. واخيرا كتبت :
« عزيزتى أجنس .

ساحضر فى الساعة الرابعة بعد الظهر » .

وفي الساعة الرابعة تماما ، دخلت الى حجرة

الاستقبال حيث كانت أجنس جالسة في هدوء وفي حالة طيبة . فبادرتها باعتذارى وأسفى :

- كنت أتمنى إلا ترينى في الحالة التي كنت بها ليلة الأمس . . أنت دون كل الناس . .

فوضعت يدها على ذراعي وقالت :

- اجلس . . ولا تكن تعيساً مكذا . . اذا كنت لا تثق بي ، فمن ذا الذي ستثق به اذن . . !؟

- اوه يا أجنس . . أنت خير أصدقائي !

- اذا كنت خير اصدقائك حقاً ياترورد . . فهناك شيء أريد أن تتبه اليه جيداً . . أريد أن أحذرك من المد وأسوا أعدائك . . أقصد ستيرفورث . . فان له تأثيراً عليك في غاية السوء . .

فقلت لها مندهشاً :

- يا عزيزتي أجنس . . انك تظلمينه بمثل هذا الغبن . . فليس من العدل أن تعمم عليه بهذا الحكم بسبب ماحدث ليلة الأمس . .

— ليس لهذا السبب وحده .. بل هناك أسباب
أخرى غير ذلك ..

ثم صممت لحظة وقالت :

— يجب الا تنسى .. يجب الا تنسى انك
وعدتني بأنك سوف تخبرني اذا وقعت في مشكلة او
ووقيعت في الحب .. !

ثم سالتني ان كنت قد رأيت يورياد وهي تقول في
نفس الوقت :

— انى متأكدة من انه سيصبح شريك لأبى فى
المكتب !

فصحت مدهشا :

ـ ماما ؟ ! .. هل سيصبح هذا الشخص شريك
لأبيك في مكتبه ! ..

فقالت أجنس :

— نعم .. وانا اخشى ان يكون ذلك على غير رغبة
أبى .. لقد أصبح أبى يخاف منه .. انه قد سيطر على

أبي تماماً .. لقد بدا أبي يفقد اهتمامه بالعمل رويداً
رويداً .. وأصبح لا يهتم إلا بي أنا وحدي .. حتى
أصبحت أحس بأنني السبب فيما لحقه من فشل في
عمله ..

وبعد ذلك بعده أيام دعيت لحضور حفلة في
وتربروكس .. وقابلت يوريyah هناك .. وظل ملازمًا
لي منذ بداية الحفلة حتى نهايتها وحتى انصرفت .
وكانـت أجنس قد طلبت منـي أن أكون لطيفـاً معـه . ولذلك
فقد صحبته إلى شقـتي ، حيث قدمـت اليـه بعض القـهـوة .

وقال يوريyah بطريقـته المعروفة :

- اوه يا مـستـر كـوبـرـفيـلد .. أـراك تـقوم بـخدمـتـي
وتقـديـم القـهـوة إـلـى بـنـفـسـك .. انـهـذا أـكـثـر مـا أـتـوقـعـه .
ولـكـنـ علىـأـيـة حالـ فقدـ حدـثـتـ أـشـيـاءـ كـثـيرـةـ لمـ أـكـنـ
أـتـوقـعـها .. أـنـى أـتـعـنىـ أـنـ أـكـونـ قادرـاـ عـلـىـ مـعـاـونـةـ مـسـتـرـ
ويـكـفـيلـد .. لـقدـ أـصـبـعـ غـيرـ عـاقـلـ بـالـرـةـ .. ولوـ كـانـ
هـنـاكـ شـخـصـ أـخـرـ غـيرـ يـعـملـ مـعـ مـسـتـرـ ويـكـفـيلـدـ خـلالـ
الـسـنـوـاتـ الـقـلـيلـةـ الـماـضـيـةـ ، لـكـانـ قدـ سـيـطـرـ عـلـيـهـ تـعـاماـ ..

وعندما كان يقول هذه الجملة الأخيرة ، اغلق
قبضة يده بقوة ، وكأنه كان يعصر شيئاً بين اصابعه ..
ولذلك فقد كرمته ..

ثم عاود يورياه حديثه قائلاً :

- ان مس الجنس كانت جميلة جداً هذه المليلة !

فقلت مصدقاً على كلامه :

- انها تبدو مكذا دائماً .. انبل وأجمل من اية
انسة او سيدة تكون بجانبها اينما كانت !

فقال يورياه :

- شكرنا لك !

فقلت له على الفور :

- ليس هناك سبب لتشكرنى على ذلك .

فقال :

- هناك سرٌ سأخبرك به .. وبالرغم من انني
شخص متواضع وبسيط .. فاني اعيش التراب الذي
تسير عليه عزيزتي الجنس !

وتعنيت لو أنى قتلته بعد أن قال هذه الكلمات . .
ولكنه استمر في حديثه :

ـ إنها تحب أباها حباً جماً . . ولأجل ذلك فاني
أتوقع أن تستجيب لى وتعطف على . . !

وهكذا اكتشفت خطته . . فقد سيطر يورياد على
مستر ويكتيفيلد تماماً حتى يجبره على أن يعطيه أجنس
روحة له . . واستمر يورياد في الحديث :

ـ ولكن لداعي للعجلة في هذا الأمر . . ان
عزيزتي أجنس ما زالت صغيرة . .

وفي تلك الليلة نام يورياد على مقعد في غرفة
الجلوس بشققى . . وحلمت بأن: أجنس تقوسلي إلى
لكى انقذها من هذا المصير . .

وعندما استيقظت في صباح اليوم التالي ، دخلت
فوراً إلى غرفة الجلوس . . فرأيت يورياد ما زال ممدداً
فوق المقعد . . تتدلى ساقاه على الأرض . . وفمه
مفتوح عن آخره . .

وكان بوسعى أن أقتله . . ! ! !

٢٥ - دورا ..

في كل يوم ، كنت اذهب الى مكتب مستر سبنلو للتدريب على العمل . وبعد ماضي بعض الوقت ، دعاني مستر سبنلو للذهاب معه الى بيته الريفي . وعندما وصلنا سأله مستر سبنلو أحد الخدم :

- أين مس دورا ؟ ..

نقطت في نفسى :

- دورا ؟ .. ياله من اسم جميل !

وعندما دخلنا الى اقرب حجرة بالبيت ، قال لي مستر سبنلو :

- مسٌٰتر كوبريفيلد .. هذه هي ابنتي دورا ..
وما أن وقعت عيني عليها حتى أحببتها بجنون من أول
نظرة .. ! وأشار إلى سيدة أخرى وقال :

- وهذه صديقه لابنتي ..

فقالت السيدة :

- أني أعرف مسٌٰتر كوبريفيلد من قبل .. !

كانت هذه السيدة هي مس مارلاستون !!

وفي صباح اليوم التالي ، استيقظت مبكرا وخرجت
إلى الحديقة . وهناك قابلت دورا . فقلت :

- لقد خرجمت إلى الحديقة مبكرة يا مس سبنلو ..

فأجابت بنعومة :

- نعم .. في صباح كل أحد .. لا أواذهب على
تمريناتي الموسيقية .. ان الصباح هو أشرف أوقات
اليوم ..

فقلت :

- وهذا الصباح هو أشرف الأوقات كلها ..
بالنسبة لي !

ومن أحد مرات الحديقة .. جاء كلب صغير يجري
نحو دора .. فرفعته بيديها وضمتها إلى صدرها ..
فقلت في نفسي : كم هو محظوظ هذا الكلب !

ومضى النهار كله جميلاً هادئاً .. حيث خرجنا
جميناً للنزهة .. وفي فترة المساء جلسنا في حجرة
المعيشة نقرأ في بعض الكتب ونشاهد بعض الصور ..
وقبل أن أتوجه لحجرة النوم أقيت تحية المساء على
مستر سبنلو وقلت له : تصبّح على خير ..

ولم يعرف مستر سبنلو أنّي ، اني أصبحت انظر
إليه باعتباره والدا لزوجتي مستقبلاً !!

٢٦ - ستيرفورث يعود

عدت الى شققى بلندن . . وجاء مستر ومسن
ميكاوبر لتناول العشاء معى . . وكانت حفلة ممتعة
بهيجة . وكنت قد قابلت « ترادلز » صديق طفولتى
وزميلى فى مدرسة سالم هاوس . فدعوته للحضور
إلى تلك الحفلة فلبى الدعوة وأزدادت بهجتنا . . وفجأة
دق الباب . . ودخل ليتيم خادم ستيرفورث . فسألته
مفدهشا :

- ما الأمر . . ماذا حصل ؟

فأجاب بهدوئه المعتاد :

- عفوك ياسيدى .. لقد أمرت بأن أحضر الى
هذا ..

- وهل سيدك هنا .. ؟

لیا سیدی

- مل رائیتہ هنا ۰۰۶

- عفوک یا سیدی !

- هل سيخضر مستر ستيرفورث من أكسفورد؟

فَقَاتِلُوا الْمُجْرِمِينَ عَلَى سُؤَالِي وَقَالَ :

- اظن انه سيخضر الى هنا غدا ..

فَسَالَتْهُ مُحَاوِلاً مَعْرِفَةَ الْمُزِيدِ بِوْضُوحٍ :

- لیتیمر .. مل بقیت طویلا فی یارماوث ؟

- لئيم . . مل بقيت طويلا في يارماوث ؟

- لا ياسيدى .. ليس طويلا جدا ..

- وهل انتهيت من اعداد القارب الذى اشتراه
مستر ستيرفورث ؟

- نعم يا سيدى ..

- وهل رأى مستر ستيرفورث القارب بعد اعداده ؟

- لا استطيع أن أقول يا سيدى .. تصبحوا جميعا
على خير !

وانصرف .. وارتعدنا جميعا لانصرافه .. ولم
اعد أثق في هذا الرجل .

وبعد ان انتهت الحفلة وانقض الجموع .. جلست
وحيدا بجوار المدفأة وانا افكر في امر مستر ومسر
ميكاوبر .. وفجأة سمعت وقع خطوات صاعدة على
السلم .. وظننت في البداية ان القائم هو ترادلز ..
ولكنني تبيّنت بعد ذلك انه ستيرفورث ، الذي قال فور ان
رأني :

- اراك عدت الى عمل الحفلات من جديد .. لقد

رأيت ضيوفك وهم يتحدثون بصوت مرتفع عن كرمك
وفضلك ويشنون عليك ..

١

وقدمت اليه بعض الطعام .. فجلس الى المائدة
وهو يقول :

- هاهو عشاء يليق بملك .. !

ثم اضاف بعد لحظة :

- لقد جئت قادما من يارماوث ..

- ظننتك قادما من أكسفورد ..

فقال وهو يواصل تناول الطعام :

- لا .. لقد استخدمت القارب الذي اشتريته ..
على فكرة .. مع خطاب مرسل اليك .. ان مستر
باركيس العجوز مريض جدا ..

وناولنى الخطاب ، فقرأته على الفور . وقلت :

- اعتقد ان من الضروري ان اذهب لارام !

وعندما تهيا ستيرفورث للانصراف قلت له مودعا
- تصبيع على خير يا عزيزى ستيرفورث .. انسى
ذاهب لرؤيتهم غدا .

ووضع كلتا يديه فوق كتفى وقال قبل ان ينصرف :
- تصبيع على خير .. ولكن اذا حصل اى شيء
يفرقنا .. فارجو ان تفكر في حسناتى دون سيناتى !

فقلت له :

- كل حسنات بالنسبة لى ..

فقال :

- ليباركك الله .. وتصبىع على خير .. !

٢٧ - باركيس يذهب مع الموج ..

وصلت الى يارماوث .. وتلقتنى بيجوتى بين ذراعيها ، شاكرة لى حضورى لزيارتها فى هذا الوقت العصيب .. وشكرتني على ذلك مرات ومرات .. وقالت ان مجرد حضورى قد سبب لها الكثير من الراحة والمسكينة .. وأن مستر باركيس يشعر نحوى بكثير من الحب والتقدير ، وأنه يتحدث عنى دائمًا بكلام طيب .. وقالت أيضًا انه الآن مستغرق في النوم ، ولذلك عندما يستيقظ ويرانى سيسعد كثيراً وتعود اليه بهجته ..

ولكن بدا واضحا انه لا يوجد شيء في الدنيا يمكن أن يعيد البهجة الى مستر باركيس .. لقد كان في دور الاحتضار .. يرقد غائبا عن الوعي وقد أسد رأسه وكتفيه على مقعد بجانب السرير ، بينما بقية جسمه ممددة في ضعف على السرير ، وعلى المقعد كانت ذراعاه تحديطان بصندوقه العتيد الذي كان يقول دائماً أن محتوياته مجرد « ملابس قديمة » ..

لقد أصبح الآن ضعيفا غير قادر على الحركة .. أصبح عاجزا عن الامساك بالعصا التي كان يتحسس بها صندوقه العتيد الموضوع تحت سريره ، لذلك فقد طلب منهم أن يضعوا الصندوق على ذلك المقعد الملائق للسرير حتى يصبح أقرب ما يكون اليه ..

وها هو ذا راقد على السرير يختضر في هدوء .. ويحاول أن يحتضن صندوقه في يأس وبلا عافية .. والحياة تتسلل في بطء خارجة من جسده الوامن الضعيف .. وكانت آخر كلماته التي سمعناها بوضوح « مجرد ملابس قديمة » .. !

وقالت بيوجوتي بصوت حزين :

- باركيس .. يا عزيزى .. ما هو مستر دافيد
قد جاء ليراك .. باركيس .. هل تريد ان تتحدث
الى .. !

ولكن الصمت العميق كان يلفه .. وجاءه باخر
أنفاسه لكي يقول شيئا .. ونطق بالفعل بقليل من
الكلمات المتقطعة غير الموصولة .. عن ذكرى قيادته
للعربة عندما كان يأخذنى الى المدرسة ..

وفجأة فتح عينيه .. والتفت نحوى .. وأضاء
وجهه بابتسمة راضية وقال فى وهن وبصوت ضعيف
لايكاد يسمع :

- « باركيس مستعد » .. !!

وكما تزحف الموجة على رمال الشاطئ ، ثم
تنسحب عائدة الى اعماق البحر .. ذهب باركيس مع
الموج .. ولكن بلا عودة !!

٢٨ - هروب أميلى

كان المطر ينهر بشدة حين كنت متوجها نحو بيت عائلة بيجوتى .. وكان القمر مختفيا وراء السحب .. ورأيت ضوءا يتسلل من احدى نوافذ البيت .. وطرقت الباب ..

كان مستر بيجوتى جالسا بجوار المدفأة يدخن غليونه .. وكانت بيجوتى جالسة بجواره تخيط بعض الملابس .. أما ممز جاميدج فقد كانت جالسة فى صمت فى ركن من الغرفة ..

قلت موجها الحديث الى بيجوتى :

- والآن يا عزيزتي .. كيف حالك ؟ !

فقال مستر بيجوتنى كما لو كان يحرص على
الاجابة بدلا من اخته :

- لقد تقبلت الامر ببساطة .. لقد أردت واجبها
نحو باركيس .. كما أن باركيس قد أدى واجبه نحوها
والاحوال على مايرام .. !!

ثم قام .. وأحضر شمعة أشعلها ووضعها
خلف زجاج النافذة . وقال بصوت ملؤه الصدق :

- أني أشعل هذه الشمعة كل مساء لترشد
صغيرتنا أميلي حين تعود من عملها الى البيت ..
وسأظل أشعل شمعة كل يوم في مثل هذا الوقت حتى
بعد أن تقزوج أميلي من دام ويصبح لها بيت مستقل .
سأشعل الشمعة كل مساء وسأجلس هنا بجوار المدفأة
وأتظاهر بأنى انتظر قدومها .. تماما مثلها أفعل الآن .
فكليما أرى هذه الشمعة مضاءة خلف الزجاج .. أقول
لنفسى ان أميلي ترى نورها وهى عائدة الى البيت ..

ولكى أثبت لك فولى أنتظر الآن .. ها هى اميلى
قد وصلت .. !

ولكن الذى وصل ، كان هام وحده ..

فسؤاله مسقر بيجوتي مستفسرا :

- هام .. أين اميلى ؟ !

فعمل هام حركة برأسه .. كما لو كان يريد أن يقول انها بالخارج .. ثم تقدم هام الى وقال :

- مسقر دافيد .. هل تسمح بالخروج معى دقيقة واحدة لترى ماذا احضرنا لك أنا واميلى .. ؟

وعندما خرجت معه من باب البيت .. لاحظت أن وجهه شاحب شديد البياض .. وأسرع بغلق الباب وانفجر فى البكاء فسألته ملتفاعا :

- هام .. ماذا حدث ؟ !

وارتفع بكاؤه أكثر وأكثر وهو يقول :

- مسقر دافيد .. مسقر دافيد !

- هام .. أيها الصديق المسكين .. أخبرنى ماذا حدث !

عندئذ تحامل على نفسه وقال في يأس :

- حبى يامستير دافيد .. عروسى التى كانت أملأ لقلبي .. اميلى الصغيرة .. لقد هربت !!

- هربت .. ؟!

- نعم يامستير دافيد .. هربت .. أخبرنى بالله عليك .. ماذا أقول لهم .. ماذا أقول للناس .. ؟!

وهنا فتح الباب وخرج اليها مسٹر بیجوتی .. ولن أنسى ما حييت ذلك الشحوب الذى بان على وجهه .. ولا منظره حين أخذ يصيح ويهدد جميع النساء .. !

ووقفت حائرا لا ادرى ماذا أقول أو ماذا أفعل .. و كنت ممسكا بيدي الرسالة التى اعطاني ايها هام حين كنا خارج البيت . وبعد فترة من الصمت الحزين قال هام :

- اقرأ الرسالة يا سيدى .

وبعد صمت يشبه الموت .. بدأت أقرأ ببطء :

« عندما تقرأ يامن تحبني كثيرا هذه الرسالة ..
سأكون قد ابتعدت بعيدا .. ولن أعود الا اذا عاد هو
بى بعد أن أصبح سيدة ..

قل لعمى انى لم أكن أحبه كثيرا .. ومع ذلك
أرجوك ان تعمل على راحته .. وجرب حظك فى العد
مرة أخرى مع فتاة طيبة تكون صارقة معك ..

بارك الله فيكم جميعا .. وانى اصلى من أجلكم
راکعة على ركبتي .. واذا لم يعد بي بعد أن أصبح
سيدة ، فلن أصلى من أجل نفسي .. وانما سوف
أصلى للجميع » ..

وأبعد مستر بي جوتنى عينيه عن وجهى كما لو كان
قد أفاق من حلم رهيب . ثم قال بصوت منخفض يبدو
كالهمس :

- من هو الرجل ؟ .. أريد أن أعرف اسمه .. !
فقال بصوت منكسر :

- انى لا الومك يامستير دافيد . . لأن الرجل اسمه
ستيرفورث .

وعلی الفور ارتدى مستر بيجوتسى معطفه ، وقال لهام :

- اعطني القبة !

فقاله هام عما ينتوى . . والى اين سيدهب ، فقال
باصرار :

- سأذهب للبحث عن أميلي .. ولكنني سأذهب
أولا لأحطم ذلك القارب اللعين .. وبعد ذلك سأذهب
للحث عنها ..

فیصلہ ہام :

- این ... ؟

فاجاب بمزید من الاصرار :

- فى اي مكان .. وفى كل مكان فى هذا
العالم .. سوف اجدها .. سوف اعيدها الى هنا .. !

٢٩ - مسْتَر بِيجُوتِي و مسْز سِتِيرفُورث

في صباح اليوم التالي عدت إلى لندن . . وصحبني
مسْتَر بِيجُوتِي بعد أن طلب مني أن أتوسط له مقابلة مسْز
سِتِيرفُورث « والدة سِتِيرفُورث » . فتوجهت إليها طالبا
السماح برؤيا مسْتَر بِيجُوتِي ووصفته بأنه رجل طيب
ولطيف ولديه مشكلة يريد أن يعرضها عليها . فسمحت
له بالدخول . .

كانت مسْز سِتِيرفُورث جالسة على مقعد وثير . .
وكان روزا دارتل واقفة خلفها . . ونظرت إلى مسْتَر

بيجوتى ونظر مستر بيجوتى اليها .. ثم اشارت اليه
بالجلوس فقال معتشا :

- لا .. سأظل واقفا !

ثم اخرج من جيبه الرسالة التى تركتها اميلى
وقدمها الى ممز ستيرفورث وقال لها :

- ارجوك ان تقرئي هذه الرسالة يا سيدتى !

وبعد ان قراتها سالها مستر بيجوتى وهو يشير
الى جملة « بعد ان أصبح سيدة » :

- هل سيرحظ وعده ويتزوجها .. ؟ !

فأجابت ممز ستيرفورث بعزم :

- لا .. طبعا .. !

فقالها ممز بيغوتى :

- لماذا .. ؟

- لماذا .. ؟ لأنها اقل منه مقاما ..

- ولماذا لا ترعنها الى مقامكم ..
- انها غير متعلمة .. ولم تذهب الى مدرسة ..
- علموها ..!
- انها من عائلة متواضعة وفقيرة جدا ..
- اسمع يا سيدتي .. انت تعرفين بلا شك مدى حبك لولدك .. ونحن ايضا نعرف مدى حبنا لأولادنا .. ولكنك لا تعرفين كيف يكون حالك عندما تفقدين ولدك ..
وأنا أعاهدك بأن نقطع صلتنا بها تماما ولن نراها أبدا بعد أن يتم الزواج ..
- هذا مستحيل .. ان مثل هذا الزواج سيدمي مستقبل ابني .. وسيعرضه للافلاس والخراب .. ومع ذلك فيمكنني أن أعطيكم بعض ..
- تعطينا بعض النقود ؟! .. ان هذا سيكون أسوأ مما فعله ابنك !

وهنا تغيرت ملامح مسرز ستيرفورث وظهرت على وجهها معالم الغضب .. وفي الحال انحنت روزا دارتل

التي كانت تقف خلفها وهمست في أذنها ببعض الكلمات
ولكن يبدو أنها لم تقبل ما هممت به روزا في أذنها .
وقالت :

- لا ياروزا .. لا !

وعندئذ قال مستر بي جوتي :

- لا ياسيدتي .. ليس هناك داع لأن تقلق نفسك
إلى هذا الحد .. لقد جئت إلى هنا بدون أمل ..
وسأخرج من هنا بدون أمل مثلكما جئت .. !

وخرج مستر بي جوتي وخرجت معه .. وتتبعتنا
روزا دارتيل ، وسحبتني من ذراعي جانبها . وقالت
ووجهها يحمل كل مظاهر الغضب :

- لماذا أحضرت هذا الرجل إلى هنا ؟ .. لا تعرف
أن كلامي من ممزق ستيرفورث وابنهما مجنون بالفخر . بنفسه
وبعائلته ؟ .. لماذا أحضرته إلى هنا اذن ؟ .. لا هو
ولا تلك الفتاة يساوى شيئا .. بودى لو أكوى وجه

تلك الفتاة بالخارج .. ثم أقيها في الشارع .. بودى
لو أقتلها !! .. !!

لقد رأيت أنواعا وأشكالا من الغضب تتبدى في
وجوه الناس .. ولكن لم أر في حياتي غضبا عنيفا مثل
غضبها .. !!

وعند لحقت بمستر بيجوتى ، كان يسير آنذاك ببطء
هابطا من التل . فسالته :

- والآن .. إلى أين أنت ذاهب .. ؟

فأجاب بصوت منخفض ولكن فيه الكثير من
الإصرار :

- سأذهب للبحث عنها ، مهما بعد بها المكان ..
وإذا لحق بها أو بى أى سوء .. فانيأشهدك على
أن تتذكر أن آخر كلماتي عنها : ان حبى لها لم يتغير ..
وانى سامحتها .. !!

الجزء الخامس

الزواج

٣٠ - الخطبة

أخبرنى مستر سبنلو أن عيد ميلاد ابنته دورا
سيكون الأسبوع القادم .. وانه سيكون مسروراً لو
قبلت دعوته لحضور حفل عيد ميلادها فى بيتهما الريفى :

وفى اليوم المحدد غادرت لندن فى الصباح الباكر
حتى أصل فى وقت مناسب . وعندما وصلت إلى
البيت ، رأيت دورا واقفة فى الحديقة ، ومعها صديقة
شابه اسمها مس جوليا ميلز .. وكان كلبها الصغير
جيوب واقفا قرب قدميها .

وطوال اليوم ، كان ذهنى مشغولا بشيء

واحد هو : دورا .. أرى صورتها في أشعة الشمس
الشرقية .. واسمع صوتها في تغريد الطيور
الجميلة .. !

جلسنا تحت الاشجار وتناولنا طعامنا .. ثم غفت
دورا وشدت بصوتها العذب الرائع .. وتناولنا
الشاي .. وقبل المغرب عدت الى البيت راكبا عربة ..
وكانت دورا بجوارى .. !

وقبل أن أغادر البيت عائدا الى لندن ، افتحت بسي
مس جوليما ميلز جانبها وقالت لي :

- مستر كوبريفيلد .. أريد أن أحديك في شيء ..
أن دورا ستقيم عندنا بعض الوقت ضيفة علينا .. واتمنى
أن تحضر لزيارتنا !

وبعد أيام قليلة عزمت على زياره مس جوليما ميلز
في بيته حيث تقيم دورا .. وعزمت في الوقت نفسه
على عرض الزواج على دورا ..

وعندما وصلت كانت الاثنين جالستين في حجرة الاستقبال . . وبعد فترة استأذنت من جوليا ميلز في الغروب من الحجرة وتركنا وحدنا . .

ولا ادرى حتى الان كيف أخبرت دورا بحبي لها . .
لقد فعلت ذلك في لحظة خاطفة . . قلت لها اني سأموت
بدونها . . !

٣ - الإفلات

عدت من زيارة صديقى القديم ترادلز .. وتوجهت
إلى الحجرة التى كنت أقيم فيها أنا وبيجوتى ..
وأصابتنى دهشة شديدة حينما رأيت الباب مفتوحا
وسمعت أصواتا كثيرة بالداخل ..

وفوجئت بوجود عمتى ومعها مستر ديك .. وكانت
عمتى جالسة على بعض الصناديق .. أما مستر ديك
فقد كان ممسكا بطياراة ورقية كبيرة ..

صحت مرحبا :

- أهلا بعمتى العزيزة .. هذا سرور لم أكن

أتوقعه . . هل تذكرين يا عمتى هذه السيدة . . إنها
بيجوتى . .

فقالت عمتى لبيجوتى :

- مرحبا بك . . كيف حالك ؟

ثم التفتت إلى قائلة :

- ليس من اللائق أن تدعوها باسمها القديم . .
لقد تزوجت وأصبح لها الآن اسم آخر . . هو اسم
زوجها . . (١)

والتفتت عمتى إلى بيجوتى وسالتها :

- ما اسمك الآن ؟ . .

فقالت بيجوتى :

- باركيس .

(١) من المأثور في إنجلترا أن ترك الزوجة اسم عائلتها
وتسمى باسم زوجها واسم عائلته .

وعندئذ قالت عمتى :

- هذا افضل .. كيف حالك يا باركيس !؟

وتناولنا الشاي .. ومن وقت لآخر كنت الالاحظ ان
عمتى تنظر الى بطريقة غريبة .. وتعجبت من ذلك ..
فأنا لم اخبرها بعد بأى شيء عن دورا .. فهل كان هذا
هو السبب .. ؟

واخيراً قالت عمتى :

- ترود .. عليك ان تتمالك نفسك وتمسك
اعصابك وتسمعنى جيداً ..

فقلت بلا تردد :

- حاضر يا عمتى ..

- هل فكرت وسألت نفسك لماذا أنا جالسة هكذا
على هذه الصناديق .. !؟

- لا يا عمتى .. ولا أعرف لماذا ..

قالت ببساطة وبوضوح :

- لأن هذه الصناديق هي كل ما أملك .. لقد
أفلست تماما يا عزيزي !

لو أني سمعت خبرا عن غرق البيت وغرق جميع
من فيه .. لما اندهشت بمثل هذه الدمشة !

وواصلت عمتى حديثها :

- ديك يعرف ذلك أيضا .. لقد أفلست ..
وأصبح كل ما أملكه في هذا العالم موجودا في هذه
الغرفة .. باركيس .. هل يمكنك اعداد سرير لينا
ديك .. أي شيء يكفي لهذا الغرض ..

ووضعت عمتى ذراعها حول عنقي وقالت أنها
لا تأسف لشيء إلا بالنسبة لي وحدي .. ثم أخذت
مشاعرها وقالت مشجعة :

- يجب أن نتحمل المصاعب ببسالة .. يجب إلا
ندع المصاعب تخيفنا أو تقلقنا .. لابد أن نشق حياتنا
مهما اكتنفتها من متعاب وصعاب .. ياتروت !

٣٢ - لقاء مع آجنس

كان أول شيء صدمت أن أفعله في صباح اليوم التالي ، هو اعتفاء نفسي من العمل من مكتب « سبنلرو وجوركينز » وأن استعيد منها المبلغ الذي دفعته عمتي مقابل تدريبي . وجلست في أحد أركان المكتب في انتظار صول مسiter سبنلرو ، وأفكر في الوقت نفسه في دورا ..

وعندما وصل مسiter سبنلرو ورأني ، هياقني قائلا :

— كيف حالك ياكبر فيلاد .. انه صباح جميل ..
اليس كذلك ؟ !

فقلت :

- نعم .. هو صباح جميل بالفعل .. هل يمكنني أن أتحدث معك قليلا قبل ذهابك إلى المحكمة .. ؟

- طبعا .. لماذا ؟ .. تعال إلى مكتبي ..

وتبعته إلى حجرة مكتبه ، وقلت له :

- أني أسف لما سوف أقول .. لقد وصلتني أخبار سيئة عن عمتي .. لقد أفلست وفقدت جميع أموالها .. ولذلك فأنا مضططر للانقطاع عن عملى بالكتب ، وأرغب فى استرداد مادفعته عمتي من نقود مقابل تدريبى ..

فقال مستر سبنلو أسفًا :

- أني أسف لذلك .. ولكن ذلك غير ممكن .. فلو كنت وحدى لكان من الممكن أن أرتب ذلك .. ولكن هناك شريكى فى المكتب مستر جوركينز ..

- أذن .. هل تعتقد أنى لو حادثت مستر جوركينز .. فى الأمر .. سيكون من الممكن تسوية هذا الموضوع ..

- لا .. لا اعتقد ان مستر جوركينز سيوافق على
شيء كهذا ..

- اعتقد انك تحدثت في هذا الموضوع مع مسـتر سـيـفـلـو . . .

- نعم تحدثت معه .. وقال انه من الممكن ان
يوافق على هذا الطلب لولا ان

- ولكن قال ...

وبينما كنت أسير حائرا في الشارع ، سمعت وقع
عجلات عربة صغيرة قائمة من خلفي . وعندما اقتربت
مني العربة ، رأيت وجهها جميلا .. رأيت أجنس
بنفسها . فصحت مهلا :

- أجنس .. عزيزتي أجنس .. ياله من سرور
أن أراك مكذا فجأة .. إلى أين تذهبين .. ؟ !

فقالت وهي تنزل من العربة تسير بجانبى :

- أني ذاهبة لزيارة عمتك .. أني لست وحدى
هنا .. معى أبي ويورياء هيب .

- يورياء هيب ؟ .. عليه اللعنة .. هل أصبح
شريكًا لوالدك في مكتبه .. ؟

- نعم .. ان له تأثيرا بالغا على أبي .. لقد
حدث تغيير في بيتنا أود أن أخبرك به .. ان يورياء
وأمه يعيشان معنا الآن في البيت .. وأسوا ما في هذا
الأمر ، أني أصبحت لا استطيع أن انفرد بالجلوس مع

أبى وحدنا كما اعتدنا . . فيورياه هيب أصبح يفصل
بيتنا . .

كانت عمتى جالسة وحدها عزماً وصلنا . . وحكت
لها عمتى قصة مالحق بها من خسائر وكيف خسرت
كل أموالها . . ثم قالت في النهاية :

- لا أدرى ماذا يجب أن نفعل الآن . . فالكونخ
لن يدر علينا أكثر من سبعين جزية كل سنة . . أما
ديك فلديه مائة جزية هي كل مدخراته . . ولكنها تخصه
وحده . .

فقالت أجنس :

- علمت ان الدكتور قد أغلق مدرسته . . وجاء
ليعيش هنا في لندن . . وهو يبحث عن شخص يساعدته
في اعداد كتابه الذي يؤلفه . . واعتقد ان تروتوود
يمكنه أن يلتدق بهذا العمل . .

فضحت فرحا :

- عزيزتي أجنس . . اذت أفضل أصدقائي !!

وقدت على الفور بكتابه رسالة الى الدكتور سترونج أطلب منه أن ياذن لي بمقابلته في الساعة العاشرة من صباح الغد .

أينما تكون أجنس .. فإنها ترك لمساتها الحلوة على كل شيء في المكان الذي توجد فيه .. فعندما عدت إلى البيت ، رأيت الحجرة مرتبة منتظمة ، ورأيت قفص الجليسور الجميلة الخاصة بعمتي معلقا على النافذة ، ورأيت مقعدى موضوعا بجوار النافذة بالقرب من مقعد عمتي .. وبينما كنت أتأمل هذه اللمسات الرقيقة ، سمعنا طرقا على الباب . وعندئذ قالت أجنس :

– اعتقد أن أبي قد وصل .

قمت وفتحت الباب .. ودخل مستر ويكيفيلد ومعه يورياد هيب . وأدهشنى التغيير الكبير الذى لحق بمستر ويكيفيلد .. فقد علت وجهه حمرة غير صحية ، وازداد ارتعاش يديه .. وفجعت بمنظره هذا .. فقد تيقنت أن الرجل أوشك أن يفقد قواه تماما ، ويعتمد كليا على

يورياه هيب ذلك المخلوق الانتهازى المتسلق . . . تماماً
مثلاً يعهد انسان الى قرد ليرعاه ويقولى شئونه !

وقالت عمتى :

وَهُنَا قَالَ يُورِيَاهُ هَبِّ :

- سأكون سعيدا لو أن مس الجنس ستتصبح شريكه لنا في المكتب .

فقالت له عمتى يشيع من الخشونة:

- لقد أصبحت شريكا في هذا المكتب .. وهذا يكفيك .. كيف تسير معك الأحوال ؟

وأجابها يورياد بأن الأحوال تسير بطريقة حسنة ..
ثم قال بعد لحظة :

- اذا وجدت انا او امي او مستر ويكيبلد ايه
طريقة لمساعدتك .. فان ذلك سيكون من دواعي
سرورنا .

وقال مستر ويكيبلد بصوت منخفض :

- ان يورياه هيب نشيط فى عمله .. وانا اوافق
على ما يقول .

وقال يورياه هيب :

- انى سعيد بهذه الثقة !

وهنا قالت اجنس لأبيها :

- ما رأيك يا أبي ان تخرج فى نزهة معى انا
وتركتورود .. ؟ !

فقال يورياه هيب :

- لدى بعض الاعمال .. ولذلك فسوف اترك
مستر ويكيبلد معكم .
وخرج ..

ومكذا اتيح لنا أن نعاود احساسنا بالسعادة
وأن نتحدث بحرية عن ذكريات أيامنا السعيدة في
كانتربيري . . وعاد مستر ويكييلد إلى حالته الطبيعية
السابقة . .

وبعد أن تناولنا الطعام معا ، جلست أجنس بجوار
أبيها ، وصبت له كأسا من النبيذ . وعندما حل الظلام
رقد نائما في هدوء . . فتسلىت أجنس من جانبه واتجهت
نحو النافذة . . وعندئذ رأيت الدموع تملأ عينيها .

لن أنسى أبدا تلك الصديقة العزيزة . . لقد ملأت
قلبي بحب الخير . . وسللت عقلى بالأفكار
الطيبة . . لقد شجعتنى لكي أقوى على ضعفى وانتصر
على الصعاب . .

حتى عندما حدثتها عن دورا . . كانت تنصلت إلى
وأنا أثني على دورا وأعدد محاسنها . . آه يا أجنس .
ياشقيقة الروح منذ أيام الصبا . . ليتنى عرفت الآن
كل ما عرفته فيما بعد . . ليتنى عرفت ولو لمحه واحدة
من ملامح المستقبل !

توجهت في طريقي الى هاى جيت . . . وانا افكر
في حياتي الجديدة التي اتوقعها في الفترة القادمة . . .
وسممت على ان اعرض على الدكتور سترونج رغبتي
في القيام بعملى فترتين كل يوم مقابل اجر مضاعف
حتى اتمكن من مواجهة تكاليف ونفقات حياتي
الزوجية .

وبينما كنت في طريقي الى بيت الدكتور . . . شاهدت
بيتا صغيرا يشبه الكوخ معروضا للبيع . فتوجهت
إليه وتفرجت عليه من الداخل والخارج . . . كانت هناك
حديقة صغيرة ملحقة به وتصاح في نظرى للكلب
جيـب . . . واقتنت أيضا بـأن البيت مناسب تماما لحياتي
الزوجية . . . مع دورا .

وصلت أخيرا الى بيت الدكتور سترونج . . . ورأيته
واقفا في الحديقة . وتهلل وجهه بالبشر حين رأني .
وصاح :

— عزيزى كوبرفيلد . . . انى مسرور لرؤيتك . . .
ومسرور أكثر لرغبتك في العمل معى . . . ولكن اليس

من الأفضل أن تفكر في عمل أحسن من هذا . . اعتقد
ان مبلغ السبعين جنيها سنوياً مبلغ ضئيل ولا يكفيك . .

نكتة له عارضا فكري :

- اعتقد انك ستعطيني المبلغ مضاعفا اذا اشتغلت
فترتين يوميا . . فقرة في الصباح وثانية في المساء .

وبدا واضحـاً أنـ الدـكتـور سـتروـنج كانـ سـعيدـاً بـأنـ
أـسـاعـدهـ فـى عملـ القـامـوسـ الـكـبـيرـ الـذـى يـقـومـ بـتأـلـيفـهـ مـنـذـ
سـنـوـاتـ طـوـيـلةـ . . وـكـانـتـ جـيـوبـهـ كـلـهاـ مـعـلـوـةـ بـقـطـعـ
صـفـيـرـةـ مـنـ الـأـورـاقـ عـلـيـهـ كـتـابـاتـ تـخـصـ الـعـلـمـ فـىـ هـذـاـ
الـقـامـوسـ . . وـأـتـفـقـنـاـ عـلـىـ أـنـ نـبـدـأـ الـعـلـمـ مـعـاـ فـىـ السـاعـةـ
الـسـابـعـةـ مـنـ صـبـاحـ الـيـوـمـ التـالـىـ . .

وبـعـدـ عـدـةـ أـيـامـ . . تـلـقـيـتـ رـسـالـةـ مـنـ مـسـتـرـ مـيكـاـوبـرـ ،
يـدـعـونـيـ فـيـهاـ لـزـيـارتـهـ فـىـ حـجـرـتـهـ الـتـىـ اـسـتـأـجـرـهـاـ فـىـ
لـنـدـنـ . . وـكـتبـ فـىـ تـلـكـ الرـسـالـةـ : « سـتـنـدـهـشـ عـنـدـمـاـ
نـرـىـ وـتـسـمـعـ أـنـ الـأـحـوالـ قـدـ تـحـسـنـتـ عـلـىـ نـحـوـ أـفـضـلـ »ـ !ـ
وـعـنـدـمـاـ لـبـيـتـ هـذـهـ الدـعـوـةـ ، وـوـصـلـتـ إـلـىـ حـيـثـ يـعـيـشـ

مستر ميكابر . . لاحظت أن ولديه كانا راقدين على سرير بأحد أركان الغرفة . كما لاحظت أيضا أنه قد تناول قبل وصولي مشروبا قويا . . وقال بعد فقرة :

ـ ساذهب الى كانتربرى . . لقد سألنى صديقى يورياه هيب أن أعاونه فى عمله . . ان صديقى هيب رجل راجع العقل واسع الأفق . . انه لن يعطينى أجرًا كبيرا . . بل سيقوم بسداد كل ديونى !

اندهشت كثيرا لدى سماع هذه الأخبار وأخذت افكر فى معناها وفيما ورائها . . وقالت ممز ميكابر :

ـ انى على يقين من أن ميكابر لو شغل عقله فى الأعمال القانونية فسينجح ويتبؤ مكانة عالية . . وربما يصبح قاضيا . . هل تعتقد أن مستر ميكابر يستطيع أن يصبح قاضيا . . ؟

لأجيتها :

ـ ولم لا !!

٣٣ - وأخبرت دورا ..

وبعد مضى مايزيد عن أسبوع من حياتى الجديدة .
كنت أعمل مجدًا فى فترتى الصباح والمساء .. رقتبت
أمرى لزيارة دورا ، التى لم تكن تعلم شيئاً حتى الآن
عن خسارة عمتي وفقدها لأموالها .. ولا عن عملى
الجديد الذى أقوم به مع الدكتور سترونج .

جاءت دورا إلى حجرة الاستقبال . وكلبها جيب
يجرى ويقفز بجانبها . وسألتها :

- هل تعتقدين أن بامكانك أن تكونى على علاقة
حب مع شحاذ .. !؟

- ولماذا تسائل مثل هذا السؤال الغبي ..؟

- دورا .. لقد أصبحت شحانا .. لقد أفلست ..!

- اذا واصلت الحديث هكذا فسوف أطلب من
جipp أن يعضك !

ولكن لأن منظري كان جادا ، فقد تنبهت دورا ..
ووضعت يدها على كتفى ، وبدأت فى البكاء .. وعندئذ
ركعت على ركبتي وطلبت منها أن تشفق بي ولا تحطم
قلبى .. وقلت لها مستفسرا عن مصير حبى :

ـ هل ما زلت تحبينى يادورا ..؟

فقالت بسرعة :

ـ نعم .. نعم .. ولكن أرجوك لا ترهبني بمثل
هذه الأخبار عن فرقك وعن عملك الشاق !

وسألتها :

ـ هل في استطاعتى أن أقول شيئا ..؟

فاجابت فوراً :

- لا ارجوك .. لا تقل شيئاً عن ..

- اذن .. مادمت تقبلين الزواج برجل فقير
مثلي ، فسوف يكون من الأفضل أن تنظرى الى الحياة
بجدية .. وان تتعلمى شيئاً يمكنك من فحص دفاتر
حسابات والدك .. ان ذلك سيفيدك مستقبلاً .. !

فشرعت فى البكاء مرة أخرى .. ثم استدعت
صديقتها جوليا ميلز ..

وعندما حضرت صديقتها طلبت منها أن تعاون دورا
فى قراءة وفهم أى كتاب فى طهي الطعام أو أى دفتر
للحسابات ..

ووعدتني صديقتها بأنها ستتحاول ذلك .. ولكنها
لم تفعل كثيراً لتحقيق هذا الطلب ..

٣٤ — مسْتَر سِبِّيلُو يَعْرُفُ الْعَلَاقَةَ

وَذَاتِ يَوْمٍ بَيْنَمَا كُنْتُ مُتَوَجِّهًا إِلَى مَكْتَبِ مَسْتَر سِبِّيلُو ، وَجَدْتُهُ جَالِسًا يَتَأَلَّمُ مِنْ شَدَّةِ الْحُزْنِ ، لِدَرْجَةٍ أَنَّهُ لَمْ يَرِدْ عَلَى تَحْيَةِ الصُّبَاحِ الَّتِي أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ ۰ ۰

وَنَظَرَ إِلَى بِرْرُودٍ ، وَسَأَلَنِي أَنْ أَصْبِحَهُ إِلَى حَانَةِ مَجاوِرَةٍ ۰ وَصَعَدْنَا مَعًا إِلَى الطَّابِقِ الْعُلُوِّ بِتِلْكَ الْحَانَةِ وَأَدْخَلْنَاهُ إِلَى حَجَرَةٍ ، وَرَأَيْتُ مَسْ مَارِكُوْسْتُونَ جَالِسًا وَكَانَهَا كَانَتْ تَتَوَقَّعُ حُضُورَنَا ۰ ۰

— لَوْ سَمِعْتَ ۰ ۰ أَرْجُو أَنْ تَعْرِضَنِي عَلَى مَسْتَر كُوبِرْفِيلَدَ مَا تَعْتَفَظُينِ بِهِ فِي حَقِيقَتِكَ !

وأخرجت مس مارستون آخر رسالة كنت قد أرسلتها إلى دورا .. وقال ماستر سبنلو :

ـ اعتقد يا ماستر كوبريفيلد أن هذه الرسالة مكتوبة بخطك ؟

قلت : نعم .. !

وعندما قدمت اليه مس مارستون بعض الرسائل الأخرى قال :

ـ واعتقد أن هذه الرسائل الأخرى مكتوبة بخطك

قلت : نعم .. !

فأشار إلى مس مارستون وقال لها :

ـ استمرى يا مس مارستون فى حكايتك ..

فقالت :

ـ لقد بدأت أشك فى وجود علاقة بين ماستر كوبريفيلد ومس دورا سبنلو .. فبدأت أراقبهما فى حذر وعناء .. وبعد أن تناولنا الشاي بعد عصر يوم

أمس ، لاحظت أن الكلب جيب يلعب بورقة ، فأخذتها منه وقرأتها فتبين لى أنها رسالة .. وذهبت إلى مس دورا سبنلو وطلبت منها أن تعطيني كل الرسائل السابقة .. وهكذا حصلت على تلك الرسائل التي أريتكما أياها !

فالتفت إلى مستر سبنلو وقال :

- هل لديك شيء تقوله تفسيرا لذلك ؟ ..

فأجبت :

- ليس لدى ما أقول .. سوى أن اللوم يقع على أنا وحدي !

- سألقى بكل هذه الرسائل إلى نار المدفأة .. وعليك أن تعطيني جميع الرسائل التي أرسلتها لك ابنتي لأنقيها في النار ..

ولم أوفق بالطبع . واستمر مستر سبنلو في غضبه :

- ربما تعرف أني رجل غنى .. وأن ابنتي هي
أقرب اقربائي .. وأنا لا أريد أن أغير في ترتيبات
ثروتي .. وساعطيك مهلة لمدة أسبوع واحد تفكّر فيه
فيما قلته لك !

و قبل أن أعود إلى المكتب . فكرت في أن أترجمه
بسريعة إلى بيت دورا .. وكتبت رسالة قصيرة إلى
مستر سبنلو أن يترافق بابنته وأن يعاملها بلطف ..
و تركت الرسالة على المائدة .

و ذهبت إلى مس جوليا ميلز ، فوجدت أن لديها
فيضا من الكلمات المدهشة كانت تريد أن تصبه في
مسامي . فتركتها وأنا أكثر تعاسة مما كنت عليه من
قبل .

وحكيت لعمتي كل ما حدث .. ولكنها لم تعطني
أى أمل .. فنمت على سريري يائسا يتمزق قلبي
من شدة العنzen ..

وفى صباح يوم السبت ذهبت إلى المكتب .. فرأيت

جُمِعًا من النَّاس يقفون حول الباب . . . وعندما دخلت
رأيت الكاتب العجوز تيفي جالساً على مقعد غير
مقعده ، وقد أمسك بقبعته في يده . وقال عندما رأني :

ـ حدث شئ فظيع يا مسْتَر كوبِرفيلد !

ـ ماذا ؟ . . . ماذا حدث ؟ !

ـ مسْتَر سِينلو .

ـ ماله . . . ؟!

ـ مات . . . لقد سقط من عربته

٤٥ - يورياه يقول أكثر من اللازم

ذهبت الى كافنربرى لزيارة مسـتر ويـكـيلـد فى
مكتبه وبيته . . وفى الحجرة الصغيرة الملئـة بالـكتب
والـقـى كان يـشـفـلـها يورـياـه هـبـ من قـبـلـ ، رـأـيـتـ مـسـترـ
ميـكاـوبـرـ جـالـساـ .

سـالـتـهـ :

ـ هـاـهـ . . مـلـ اـحـبـتـ العـمـلـ بـالـقـانـونـ يـاـ مـسـترـ
ميـكاـوبـرـ ؟ . .

اجـابـ :

- أنا رجل له قدرة كبيرة على التخييل .. ووجدت
أن القانون يتطلب قدراً كبيراً من الحقائق ..

- وهل يعطيك الآن أجرًا طيباً .. ؟

- لقد سدد كل ديني .. كلها .. !

- لم أكن أتوقع أنه أصبح حراً في التصرف في
النقود إلى مثل هذه الدرجة .. هل ترى مستر ويكرفيلد
كثيراً .. ؟

- لا .. ليس كثيراً .. انه رجل ذو سمعة
كبيرة .. ولكنه لم يعد ذا فائدة !

- اعتذر أن شريكه هو الذي يحاول أن يجعله بلا
فائدة .. !

- يا عزيزى كوبرفيلد .. انى هنا مجرد موظف
موثوق فيه إلى حد كبير .. وهناك بعض الأمور
لا استطيع أن أتحدث فيها بحرية ..

لقد تغير مستر ميكابر .. أصبح هناك حاجز ..

يُفصل بيني وبينه .. ولم نعد صديقين مثلما كنا في
الماضي ..

كانت أجنس جالسة في حجرتها . فسحت بها :

- أجنس يا عزيزتي .. أني أشعر بالاحتياج إليك
في الفترة الأخيرة .. كنت أفكر فيك لأنني في حاجة
إلى نصيحتك وتشجيعك .. عندما تكونين معي ، أشعر
بأن أحوالى تتحسن إلى الأفضل .. فما هو السر فى
ذلك يا أجنس .. أن ثقتي كلها فيك أنت وحدك !

فقالت برقه :

- ولكن لا يجب أن تخضع هذه الثقة في أنا ..
يجب أن تخضع ثقتك في دورا ..

وفي المساء جلسنا لتناول طعام العشاء .. وشرب
مستر ويكتيل نخب عمتي .. ونخب مستر ديك . ثم
وقف يوريه وقال :

- أني أشرب نخب أجمل فتاة على ظهر الأرض !



یوریا، هیب و آجنس .

كان مستر ويكتيلد يمسك في يده كأسا فارغة ،
ورفع عينيه إلى صورة زوجته السابقة أم اجنس ، ثم
وضم يده على رأسه .. وواصل يورياه كلامه :

- انى احقر من ان اطلب شرب نخبها . . ولكن
معجب بها . . واحبها !

وأخذ مسرق ويكتف بعصر يديه في بعضهما معبرا
عن شدة الألم الذي يعتريه .. وواصل يورياه كلامه :

- ان تكون ابا لاجنس يا ويكيبيدي ، فان ذلك شيء
يدعو للغدر .. أما ان تكون زوجها

وهنا أطلق مسرر ويكتفيا صرخة الم وتوجع لم
أسمع مثلها في حياتي كلها .. فصاح به يورياه :

- مَاذَا فِي الْأَمْرِ .. مَلِ جَنْتْ ؟ !

ووضعت ذراعي حول مستر ويكيبلد محاولا
تهدئته . . . ويبدو أن الرجل قد عانى من لحظة جنون
عايرة . . . ولكنه أخذ يستعيد هدوءه رويدا رويدا . . . ثم
قال فجأة وهو يشير إلى يورياه :

- انظر اليه ا .. بسبب هذا الرجل فقدت اسمي خطوة خطوة .. وفقدت هدوئي وسلامي .. وفقدت مكتبي وبيتي ..

فصاح به يورياه :

- لا تكن غبيا مكذا يامستر ويكيهيلد .. لم يحدث شيء فيه أى ضرر ..

وواصل مستر ويكيهيلد كلامه :

- ظننت انى استطيع أن أثق به لأن مصلحته كانت تقتضى منه أن يكون صادقا معى ومخلصا لى .. ولكن انظر كيف أصبح !

فقال يورياه مهددا :

- كوبريفيلد .. من الأفضل أن تسكته .. وان تمنعه من أن يقول اشياء سيندم عليها فيما بعد اشد الندم !

فصرخ مستر ويكيهيلد :

- سأقول أى شيء يعجبني .. لماذا لم يعد في
قدوري أن أقول ما أريد ..؟!

وجه يوريه حبيثه إلى قائلًا :

- كوبرفيلد .. أني أحذرك .. إذا لم تمنعه من
الاستمرار في الكلام فلن تكون في مثل هذه الحالة
صديقك الذي يحرص على مصالحه .. أنا وأنت نعرف
مانعرف ..ليس كذلك؟ .. الا ترى أني مازلت
متواضعا .. وإذا كنت قد قلت شيئاً أكثر من اللازم ،
فأنا أسف لذلك .

مساء

وقال مستر ويكتفيف في صوت باك :

- اوه .. تروتورد .. تروتورد .. تذكر كيف
انحدر حالى منذ أن رأيتني أول مرة في بيتي هذا ..
لقد هدمي الضعف .. وأصبحت لا أستطيع التذكر ..
وتحول حزنى إلى مرض .. لقد أحببت ابنتي لأنى
كنت أتذكر فيها وجه أمها .. وأصبحت الآن ضعيفا
حتى في حزنى وحبي .. بل ضعيفا حتى في طريقة

مرؤوبى من الجوانب المظلمة فى هذا الحزن وهذا
الحب .. انظر كيف تهدمت واصبحت حطاماً ..
والقى بنفسه على كرسيه وانفجر باكيا ..

كان الظلام قد انسلل حين اوقفت عربة امام
الباب وهممت برکوبها . ولكن يورياه هيب جاء مسرعاً
ووقف بجانب العربية وقال بصوت منخفض يبدو مثل
صوت الصندعه :

- كوبرفيلد .. اعتقد انه سيسرك ان تسمع انتا
قد سوينا امورنا .. لقد ذهبته اليه في غرفته ولم تعد
بيمني وبينه الان آية مشاكل .. وربما انت نفسك قد
تعرضت في مرة لما تعرضت انت له .. اعني ان تقطف
من الشجرة تفاحة لم تنضج بعد .. ولكن الوقت سيأتي
حتماً .. وانا استطيع ان انتظر .. !

٣٦ - دورا . . وكتاب الطهى

و كنت اتردد كثيرا على دورا . . ولكن كان هناك شيئا يقلقنى باستمرار . . وهو أن دورا تحب أن يعاملها الجميع كمالوكانت لعبه جميلة . . كانت عمتى مثلا تسمىها « الزهرة الصغيرة » . . وكانت عمتها مس لافينيا تدللها أكثر وأكثر . . و صممت على مناقشة هذا الموضوع مع دورا . . فقلت لها :

- اعتقد أن من الأفضل أن تطلبى منهم أن يغيروا طريقة معاملتهم هذه . . لأنك تدرکين يا عزيزتي إنك لست طفلا صغيرة تحتاج لكل هذا القدر من التدليل والدع . .

قالت :

ـ انظر .. ما انت ذا ت يريد أن تغضبني وتغضبني
مني .. انهم يعاملونني بمنتهى اللطف والعطف ..
وأنا سعيدة بهذه المعاملة ..

قلت محاولاً اقناعها :

ـ ولكن يمكنك أن تظل سعيدة عندما يعاملونك
بطريقة أكثر جدية وواقعية ..

قالت برقه شديدة :

ـ لا تقسو على هكذا .. يا عزيزى !

وطلبت مني أن أحضر لها كتاباً يعلمها فن طهي
الطعام .. فسررت كثيراً بهذا الطلب .. وأحضرت لها
الكتاب المطلوب ، وكتاباً آخر لتعليم الحساب ..

ولكن كتاب الطهي سبب لها صداعاً .. أما كتاب
الحساب فقد جعلها تبكي .. وصمتت على أن أقسم
بتعليمها بنفسى ..

قلت لها :

ـ والآن .. افترضي يا عزيزتي إننا قد تزوجنا ..

وانك ذهبت الى الجزار لتشترى لى قطعة من اللحم
فهل تعرفين كيف تشترينهما .. ؟

قالت :

- ولماذا أعرف كيف اشتريها مادام الجزار يعرف
كيف يبيعها .. ؟

- اذن .. لنفرض مثلاً أني طلبت منك أن تطهى
لنا طبقاً من « اليختسي الايرلندي » (١) .. فماذا
تفعلين .. ؟

قالت على الفور :

- أنا دى على الخادمة . وأطلب منها أن تعد لنا
هذا الطبق .. !

وهكذا لم يعد كتاب الطهى ذا نفع .. ووضعته
في أحد الأركان الجانبية بالحجرة ، ليقف أو ليجلس
عليه كلبها المدلل ..

(١) طبقة ايرلندية شهيرة وسهلة ، تتكون من بعض قطع
اللحم الصغيرة تسلق ببطء مع بعض الخضراوات .

٣٧ - الزوجة الطفلة

.. تزوجنا

وعلشت معنا في البيت خادمة تسمى ماري ان ..
وقلت لدورا ذات يوم :

- عزيزتي .. يبدو ان ماري ان ليس لديها اية
فكرة عن الوقت .. فالطعام يجب ان يقدم في الساعة
الرابعة .. ونحن الان في الساعة الخامسة

قالت ببساطة :

- ربما تكون الساعة مس المخطئة في تحديد

الوقت . . و أنا لا أجسر على الكلام معها في مثل ذلك
أني أخاف منها . .

ـ فقلت بعد أن فاض بي و أنا أحاول في نفس الوقت
أن أمسك بأعصابي :

ـ بالأمس اضطررت إلى الخروج قبل أن يتم طهي
لعام . . وأول أمس لم يكن اللحم مطبوخا بطريقة
سليمة . . أما اليوم فليس هناك طعام على الإطلاق . .
أني لا ألومك في ذلك . . ولكن الحينـة بمثل هذه
الطريقة غير مريةحة !

ـ فقالت بطريقة هي خليط من الغضب والدليع :

ـ أنت ولد قاس . . هل تريد أن تقول أني زوجة
سيئة ؟ !

ـ أما المشكلة الحقيقية الكبرى فكانت تتمثل في
الخدمات اللاقى أصبحنا نستخدمهن في البيت واحدة
وراء أخرى . . وبعد أن تركتنا ماري أن لاحظت أن
بعض الملاعق وبعض النقود قد اختفت . ثم استخدمنا

بعدها مسز كيدجبرى التى كانت عجوزا لاتقوى على
اداء اي عمل .. ثم خادمة اخرى كانت تحطم كل
شيء .. ثم عددا من الخادمات اللاتى لا يعرفن شيئا
عن واجباتهن .. واخيرا استخدمنا فتاة شابة اخذت
قبعة دورا وارتدتها حين ذهبت لمقابلة صديقها !

لقد أصبح الجميع يخدعوننا بسهولة .. حتى
 أصحاب المتجرب أصبحوا لا يعطوننا الا اسوأ بضائعهم .
فجميع ما اشتريناه من اسماك كانت فاسدة .. و اذا
اشترينا لحمة فإنه لا يؤكل بعد طهيها .. حتى الخبز
الذى كنا نشتريه اما ان يكون فاسدا او مبلولا .. وحتى
النساء اللاتى كنا نحضرهن لغسل ملابسنا كن يبعن هذه
الملابس بعد غسلها .. وكانت الخادمات تشترين
بعض حاجياتهن ويطلبن منا ان ندفع ثمنها ..
و جاء ضيف صديق ليزورنا فقدمنا اليه طعاما لا يؤكل !
وبعد انصراف الضيف .. جاءت دورا وجلست
بجانبى وقالت :

- انى اسفه يا عزيزى لما حدث .. كان من

الافضل قبل ان اتزوج بك ، ان اعيش مع اجنس لمدة
عام كامل حتى اتعلم منها كل شيء .. هل تحب ان
تطلق على اسما افضل ان تدعوني به ؟

سألتها :

- ماهو ؟

- ادعوني « الزوجة الطفلة » .. فكلما نويت ان
تفحصي مني .. فقل في نفسك : انها مجرد زوجة
طفلة !

٤٨ — محاولة التأثير على عقل دورا

مر الآن نحو عام ونصف عام على زواجنا . وبعد
عديد من المحاولات توقفنا تماماً عن ادارة المنزل .
لقد أصبح المنزل يدير نفسه بنفسه . . وأصبح لدينا
الآن خادم وطباخة . . ويبدو أن هذا الخادم لم يكن
لديه شيء يشغله سوى المشاجرة مع الطباخة طول
الوقت .

وسرق الخادم ساعة دورة الذهبية وبابها . .
فقبض عليه ووضع في السجن . . وأمام القاضي اعترف
بالأشياء الأخرى التي سرقها منا . . كما اعترف أيضاً

بالأشياء التي سرقتها الطباعة .. وشعرت بالخجل
من نفسي بعد اكتشافى أنى سرقت من جانب هؤلاء الذين
كنت أدفع لهم أجرهم كاملا ..

وشعري جميع هذه الحوادث على أن افاتح دورا
في هذا الموضوع بطريقة جادة وحازمة . فقلت لها في
أحدى الأمسيات :

- ياحبى .. يبدو أن النقص فى قدرتنا على
ادارة المنزل لا يتسبب فى الحق الضرر بنا وحدنا ..
بل انه يلحق الضرر بالآخرين أيضا .. يبدو أننا
أصبحنا نشجع الناس على أن يصبحوا لصوصا ..
لقد أصبحت أشعر بأن هؤلاء الناس يفعلون مثل هذه
الأشياء السيئة لأننا لسنا حازمين معهم بشكل
كاف

فصاحت دورا قائلة :

- اوه .. أود .. ما هذا الذى تقول .. هل رأيتني
فى مرة وأنا أسرق ساعات ذهبية .. !

وانخرطت في البكاء . فقلت لها :

- دورا ياحبى .. ارجوك ان تنتصري لما اقول ..
يجب علينا ان نتعلم كيفية التعامل مع هؤلاء الناس الذين
نستخدمهم .. انى اخشى ان اقول انتا نحن الذين
نعطيهم الفرصة ليفعلوا مثل هذه الاشياء السيئة ..
انى قلق من اجل ذلك ..

فواصلت بكاءها وهي تقول في نفس الوقت :

- اذا كنت لا تشعر بالسعادة فلماذا تزوجتني
اذن .. لماذا لا ترسلنى لأعيش مع عمتى فى بوتنى ..
او لأعيش مع صديقتي جوليا ميلز فى الهند .. !؟ ..
وأصبح الكلام معها بلا فائدة ..

ومع ذلك فلم أفقد الأمل .. وصممت على أن أقوم
بنفسى بتطويع عقل دورا ليصبح أكثر جدية .. وبدأت
هذه المحاولة على الفور ..

قرأت لها بعض اعمال شيكسبير .. وقرأت لها
بعض نصوص المعرفة المفيدة .. ولكنها بدأت تخمن

في أني انا افعل ذلك بقصد التأثير على عقلها ، فبدأت تخشى مثل هذه الموضوعات .. وازدادت كراميتها لشكسبير !

و قضيت في مثل هذه المحاولات عدة شهور .. ولكن يبدو أن تطويق عقل دورا لم يحقق أى قدر من النجاح .. ومع ذلك فقد تخيلت أني قد حقت بعض النجاح في ذلك ، فاشتريت لها حلية ثمينة على شكل حلق لأذنيها وقلت لها وانا اقدم هديتي :

- أني أخشى اننا لم نكن متجاوبين مع بعضنا طوال الأشهر الماضية .. وأخشى اننا لم نقضى سويا أوقاتا طيبة .. والحقيقة يادورا .. أني كنت احاول أن أكون حكينا ..

قالت :

- وكنت تحاول في الوقت نفسه ان تجعلنني حكيمه أليس كذلك ؟ !

فأومات برأسى . وقالت ببساطة :

ـ لا فائدة في ذلك .. وعليك أن تطلق على الاسم
الذي أحبه : الزوجة الطفلة !

وهكذا أصبحت على يقين من أنها غير متواءلين
عقلاً أو أهدافاً .. وبدلاً من محاولاتي في أن أجعل
دوراً تناسبني .. بدأت محاولاتي في أن أجعل نفسي
مناسباً لدوراً .. ولهذا فقد بدأتأشعر ببعض
السعادة .

وما أن انقضى العام الثاني على زواجنا ، بدأت
الاحظ أن دوراً أصبحت معتلة من الناحية الصحية ..
وكلت أمل في أن نرزق بطفل ربما سيجعلها تنظر إلى
الحياة نظرة أكثر جدية .

ولكن هذا الأمل لم يتحقق وازدادت صحتها
سوءاً .. وكانت قد اعتدت في الأيام الأخيرة أن أحمل
دوراً على ذراعي وانزل بها إلى الطابق السفلي كل
صباح .. ثم أحملها مرة أخرى وأصعد بها إلى الطابق
العلوي كل مساء .. ولاحظت أنها كانت تزداد خفة
في الوزن يوماً بعد يوم .

وكانت عمتي تقول لها كل ليلة :

- تصبحى على خير .. ايتها الزهرة الصغيرة !

ولكن مرض الزهرة الصغيرة أخذ يشتد أسبوعا
وراء أسبوع .. حتى كلبها جيب أصبح يبدو مثل كلب
عجوز محطم ..

رقدت دورا على السرير .. جميلة كما كانت تبدو
دائما .. وعلت وجهها ابتسامة رائعة طيبة .. ولم
تصدر منها أية شكوى .. ولم تطلب منا أى طلب ..
وقالت لنا أنها مرتاحة لأننا كنا جميعا طيبين معها ..

جلست بجوار سريرها في الضوء الخافت ..
وكان وجه زوجتي الطفلة متوجهًا نحوى .. وكانت
اصابعها ترقد ساكنة في يدي نـ وماتت ١١

الجزء السادس

التسوية ..

٣٩ - مسْتَر مِيكَاوِير يُعْتَرِف

استلمت رسالة غريبة من مسْتَر مِيكَاوِير يقول
فيها :

« انتهى سلامي .. وتحطمت قدرتى على المتعة
والسرور .. وذابت الزهرة ! »

قرأت الرسالة عدة مرات محاولا فهمها . ولكنني
لم إفهم منها شيئا ، برغم يقيني أنها أكثر أهمية من
جميع الرسائل التي أرسلها لى مسْتَر مِيكَاوِير من
قبل .

وبعد عدة دقائق استلمت رسالة أخرى من مسر
ميكاوبر تقول فيها :

« لم يعد مستر ميكابر كما كان من قبل .. انه
يقول انه قد باع نفسه للشيطان .. ويقول انه يريد
الانفصال عنى .. اعتقد ان هناك سرا وراء هذا
السلوك الغريب .. أرجوك أن تلقاه وتتحدث معه ! »

وعلى الفور أرسلت رسالة إلى مسر ميكابر
لطمئنها ، كما رتبت موعدا للقاء مستر ميكابر في
بيت عمتى ..

وعندما وصل لاحظت انه في حالة معنوية سيئة .
فقلت له مواسيا :

- أرجو الا تكون قد بدأت تكره الاعمال القانونية .

فلم يجب بشيء وظل صامتا . فسألته :

- كيف حال صديقنا يورياد هيب ؟ ..

فأجاب :

- ان كنت تتسائل عنه باعتباره صديقا لك فانا اسف



٢٧٩ هل أحببت الأعمال القانونية يا ستر ميكائيل ؟

لذلك . . . أما إذا كنت تسأل عنه باعتباره صديقي فهذا شيء مضحك . . . أني لا أريد أن أتحدث عن هذا الرجل .
ان موتي وحده هو الخلاص من كل شيء !

فقالت عمتى :

- أرجو أن تكون زوجتك وأبناؤك في حالة طيبة ..

- انهم جميعاً بخير يا سيدتي ! .. ولكنني أنا
وحدي - لست بخير .. وأأشعر باليأس ..

فقلت اطمئنْهُ واحثه على الافتراض بما صدره :

- تكلم يا ماستر ميكابير . . انك الان مع اصدقاء
صادقين . . ماذا في الأمر . . ١٩٠٠

وانفجر مستر ميكاويه في الكلام :

- ماذا في الأمر ؟ .. ان الشيطان هو الأمر ..
ان الاعمال السيئة الدنيئة هي الأمر .. ان السرقة
والغش والخديعة هي الأمر .. ان السبب المباشر في
كل هذه الاشياء المنحطة هو يورياه هي .. الآن قد

انتهى الصراع من أجل الحياة . . . ولن أعيش مثل هذه
الحياة مرة أخرى أريد أن استعيد حيّاتي الطيبة مع
زوجتي ومع أسرتي . . . وقد أليت على نفسِي أن أحطم
هذا المخلوق المدعو هيب إلى قطع صغيرة . . . سأدمره
تدميرا . . . وموعدنا في مثل هذا الوقت من الأسبوع
القادم في الفندق الصغير بـ كانتربرى . . . اخبر الجميع
 بذلك . . . سُنلتقي هناك كلنا . . . سانصرف الآن . . . والى
اللقاء !!

وخرج من البيت وهو يجري . . . انى لم أر فى
حياتى اضطراباً مثل الاضطراب الذى كان يعانيه هذا
الرجل عندما كان يلقى على مسامعنا هذا الكلام
الغريب . . .

وبعد دقائق قليلة وصلتني منه رسالة يبدو انه
كتبها في العانة المجاورة . يقول فيها :

• شيدى ..

انى اعتذر عما بدر مني من اضطراب شديد . . .

ولعلى اكون قد اوضحت تماماً أن موعدنا في الاسبوع
القادم في « حانة السفينة » ، في كانتربرى ..
• ويلكتنز ميكابر •

انقضى اسبوع وحل موعد اللقاء .. فذهبت أنا
وعمتي ومستر ديك الى « حانة السفينة » في
كانتربرى .. واستلمنا رسالة كانت في انتظارنا يقول
فيها مستر ميكابر :

« انتظروني في الساعة التاسعة والنصف من
صباح الغد في مكتب « ويكفيلد وهيب » ..

وذهبنا الى المكتب في الموعد المحدد .. ووجدنا
مستر ميكابر جالساً على مكتبه ويكتب .. او ربما
يظهر بأنه يكتب شيئاً .. فقلت له :

- كيف حالك يا مستر ميكابر ؟ ..

فقال بصوت حزين :

- مستر كوبرفيلد .. ان مستر ويكفيلد يرقد

مريضا على السرير .. ولكن مس آجنس ويكتفيفيلد
مسرورة لرؤيه اصدقائها القدامي ..

وفتح بابا يؤدى الى غرفة الاستقبال . وقال بطريقه
جاده :

- مس تروتورد .. مستر دافيد كوبريفيلد ..
مستر ديك ..

ولاحظت على الفور أن زيارتنا المفاجئة هذه قد
أدهشت يورياد هيب كثيرا .. ولكنه سرعان ما استعاد
قدرته على التظاهر بالتواضع كالمعتاد .. وقال بطريقه
المعروف :

- هذا سرور لم أكن أتوقعه اطلاقا .. لقد تغيرت
الأحوال في هذا المكتب يا مس تروتورد منذ زيارتك
السابقة .. حين كنت مجرد كاتب متواضع ..

وجاءت آجنس .. وكانت تبدو قلقة ومتعبة ..
وظل يورياد هيب يتبعها بعينيه وهي ترحب بنا .. ثم
نظر الى مستر ميكاوير وقال له :

- لماذا تنتظر هنا .. ميا اخرج الى مكتب
لا تسمعني .. قلت لك اخرج من هنا ..

فقال مستر ميكاويرو :

- حاضر !

ولكنه لم يتحرك من مكانه .. فقال يورياه بحدة :

- قلت لك اخرج .. ماذا تريد هنا ؟

فقال مستر ميكاويرو بكل ثبات :

- أريد أن أخبرهم بأنه اذا كان هناك وغد واحد
في هذا العالم .. فان اسم هذا الوغد هو يورياه
هيب !!

وغاص يورياه في مقعده كما لو كان قد تلقى ضربة
قوية على راسه .. وشحب لون وجهه .. ولكنها تماسك
وقال :

- هي مؤامرة اذن يا كوبرفيلد .. لقد رتبت امر
هذا اللقاء بعد ان البت على موظف صغير عندي ..

ولكن احنرك ياكوبرفيلد .. ان هذا اللقاء سيكون
بلا طائل .. انذا نفهم بعضنا جيدا .. ونكره بعضنا
 تماما .. والآن .. انصرف ياميكابر .. وستحدث
في ذلك فيما بعد .. !

وفي هذه اللحظة وصل صديقى ترادلز وكان
يصطحب معه مسرز هيب . فسأله يورياه :

ـ من أنت .. ؟

فأجاب ترادلز :

ـ أنا صديق لستر ويكتيفيلد .. وعندي السلطة
لكى أتحدث باسمه !

وهنا تدخلت مسرز هيب قائلة :

ـ يورياه !

فأجاب يورياه نداء امه بصوت يخلو من الارب :

ـ اسكتني !

وفي الحال وقف مستر ميكابر ، وأمسك فى يده
ورقة كبيرة الحجم ، وبدأ يقرأ ما فيها :

« جميع اعمال مكتب (ويكييلد وهيب) يقوم بها
هيب .. وهيب هذا مجرد لص .. »

اندفع يورياه هيب نحوه مسرعا ، وحاول ان يخطف
منه الورقة التي كان يقرأها .. ولكن مستر ميكاوبر
ضربه على يده .. فسقطت يده الى جانبه كما لو كانت
مكسورة .. وصاح به هيب :

ـ فليأخذك الشيطان !

فرد عليه مستر ميكاوبر قائلا :

ـ اذا اقتربت مني مرة اخرى فسوف أكسر عنقك !

وعاود مستر ميكاوبر القراءة :

« كان يدفع لي أجرًا ثابتًا عبارة عن اثنين وعشرين
شلنا كل أسبوع .. أما بقية الأجر فكان يحدده حسب
ما أقوم به من عمل .. أو بمعنى آخر حسب ما أقوم
به من أعمال سيئة خاطئة كان يحتاجها ويأمرني بادائتها
لخدمة أغراضه في الفسق والخداع .. وكان يقرضني
النقود حتى أصبحت واقعا تماما تحت سيطرته .. وقد

ووجدت أن جميع الخدمات التي يطلبها هي بمنى هي الاستمرار في خداع مستر ويكتيفيلد بكل طريقة .

وتوقف مستر ميكاوبر عن القراءة لحظة قصيرة ليرى أثر ما قاله على الساعدين . ثم استقر بعد ذلك في القراءة :

... كان يغش مستر ويكتيفيلد بكل الطرق الممكنة في نفس الوقت الذي كان يدعى فيه أن مستر ويكتيفيلد هو صاحب الفضل الأول عليه ويتباهي بأنه أعز صديق له ... وأخيراً تغير قلبي واستيقظ ضميري لأجل خاطر مس ويكتيفيلد ... وبدأت أراقب ما يفعله هي بطريقة سرية ... وعرفت أن هي بكان يحصل على توقيع مستر ويكتيفيلد على بعض الأوراق والمستندات المهمة ، مدعياً أنها أوراق عديمة الأهمية ... بل لقد جعل مستر ويكتيفيلد يسحب مبلغ ألف ومائتي جنيه من حسابات بعض العملاء المودعة عنده بعد أن أدعى أنها مصاريف انفقت في بعض الأغراض ... وجعل الأمر يبدو كما لو كان مستر ويكتيفيلد قد سحب هذا المبلغ لنفسه ...

وبهذه الطريقة الشيطانية سيطر تماما على مستر ويكتيفيلد وجعله طبعا يقبل كل شيء يراه . . .

وهب يورياه هيب موجها حديثه الى :

- انك لن تستطيع اثبات ذلك يا كوبر فيلد !

واستمر مستر ميكاويير في القراءة :

« . . . كنت أعيش في نفس المسكن الذي كان يعيش فيه هيب وتركه . . . وهناك عثرت على بقايا دفتر صغير كان قد احرقه ولكن بقيت منه بعض اجزاء لم تصل إليها النار . . . »

وهنا صاحت مسر هيب مولولة :

- يورياه . . . يورياه . . . كن متواضعا . . . وحاول أن تصل إلى تسوية هذا الأمر معهم !

فصاح بها يورياه :

- أمي . . . هل يمكنك أن تلزمني الصمت ؟ !

واستمر مستر ميكاويير في القراءة :

« . . . وعرفت أيضاً أن هيب كان في أحياناً كثيرة يقوم بتزوير وتغيير بعض البيانات المدونة في دفاتر الحسابات . . . وعرفت كذلك أنه جعل مسٌّتر ويكييلد يقع على مستند يثبت زوراً أنه افترض مبلغاً كبيراً من هيب ، في حين أن مسٌّتر ويكييلد لم يحصل على أي قرض منه . . . هذا بالإضافة بأن لدى ورقة تثبت محاولات هيب في تقليد وتزوير التوقيع الخاص بمسٌّتر ويكييلد » .

قام هيب ، وأخذ مفاتيحه . وفتح دولاباً معيناً . نظر بداخله ، ثم أغلقه ، واتجه نحونا مرة أخرى وهو يشعر بذل وانكسار . . . فقالت أمه تستعطفه وتحاول اقناعه :

- يورياه . . . كن متواضعاً وقم بتسوية الأمر معهم . . . لقد أخبرني مسٌّتر ترادلز بأنه عرف جميع هذه الأشياء ولديه كل المستندات . . . ووعده بـأنك ستكون متواضعاً وسترد إليهم أموالهم . . .

واستمر مسٌّتر ميكاؤبر في القراءة :

« . . . واستطيع أن أثبت أن هيب قد أجبر مسٌّتر

ويكفيك حتى يصبح شريكًا له في المكتب .. ووعده بأن
يدفع له مبلغاً معيناً كل عام .. ثم أخذ يقرض مستر
ويكفيك بعض النقود .. وهذه النقود هي نقود مستر
ويكفيك بكل تأكيد .. وبهذه الطريقة وضع مستر
ويكفيك تحت سيطرته ..

« أنا أتعهد بأن أثبت صدق جميع هذه الحقائق ..
وبعد هذا فان على أنا وأسرتي التعيية أن نختفي من
على وجه هذه الأرض التي فشلنا فيها ، ولم نستطع أن
نخدم أى هدف مفيد ! »

وبعد أن انتهى مستر ميكابر من القراءة ، طوى
الورقة التي يقرأ منها واعطاها لعمتي .

وكانت هناك خزينة حديدية ضخمة قابعة في ركن
الغرفة ، فقام يورياه هيب وفتحها وفوجئ ب أنها خالية
 تماماً فصاح :

ـ أين دفاتر الحسابات .. لابد أن أحد اللصوص
قد سرقها ..

قال مستر ميكاويز :

ـ لند اخذتها انا ٠٠ !

وقال ترادلز :

ـ وهي عندي انا ٠٠ !

وفجأة هبت عمتى واقفة ، واتجهت نحو يورياه ،
وامسكت بقلبيه ، وصاحت في وجهه :

ـ هل تعرف ماذا أريد ؟ ٠٠ أريد نقودي ٠٠ أريد
أن تعيد إلى أموالى !

ثم التفت عمتى نحو أجنس وقالت :

ـ أجنس يا عزيزتي ٠٠ عندما خدعت وقيل لي انى
فقدت أموالى بسبب يرجع إلى مستر ويكييلد ، فاني
لم أقل شيئاً ولا نطق بكلمة ٠٠ ولكن الآن عرفنا ان
هذا الشخص هو الذي استولى على أموالى ٠٠ وسوف
استردها منه !

وارتمى يورياه على مقعده ، وقال مستسلماً :

- وماذا تريدون أن أفعل ؟ .. !

فقال ترادلز :

- ستوقع على مستند بالتنازل عن كل شيء لى ..
وإذا لم توقع على هذا المستند ، فسوف يكون مصيرك
إلى السجن .

وهنا قامت مسر هيب بأس تعطاف أجنس لكي
تساعدهما وأن تكون رحيمة بهما . فقال يورياه :
- أمه .. توقف عن هذا الضجيج .. !

ثم التفت إلى ترادلز وقال :

- أين هو المستند ؟ .. سأوقع عليه .. !!

* * *

اعترفنا جميعا بفضل مستر ميكابر ومسنيعه
الجميل الرائع .. وكنا شغوفين بأن نوجه الشكر اليه ..
ولذلك فقد ذهبنا معه إلى بيته .. وكان مدخل البيت
الذى يطل على الشارع هو نفسه المدخل إلى غرفة
الجلوس ..

اندفع مستر ميكابر الى داخل البيت ، وارتدى
بين ذراعي زوجته وهو يحتضنها بقوة ويصيح :
- ايما .. لقد زالت الفعامة .. وارتاح عقلى
وضميرى .. والآن مرحبا بالجوع .. ومرحبا بالثياب
الرثة والهلاهيل .. ان ثقتنا فى بعضنا ستستمر
الى النهاية !!

وقالت عمتى :

- مستر ميكابر .. انى اتعجب لماذا لا تترك
انجلترا وتذهب الى ارض جديدة اخرى .. الى استراليا
مثلا ١٩٠٠

فقال مستر ميكابر :

- منذ مدة طويلة وانا احلم بذلك (وانا على يقين
من ان مستر ميكابر لم يفكر في مثل هذا الموضوع
من قبل) .. ولكن هناك بعض الصعوبات .. !

فقالت عمتى :

- النقود ؟ .. لقد أديت لنا خدمة عظيمة .. ومن
واجبنا ان نتكلف بالنقود المطلوبة .. !

- انى لا استطيع ان أخذ هذه النقود كهبة ..
ولكن يمكنكم ان تفرضونى اياها .. !

- طبعا .. طبعا ..

وهنا نسأله ممز ميكابر :

- في بلد مثل استراليا .. هل يستطيع رجل له
مزايا وقدرات مستر ميكابر أن يجد فرصة للنهوض
بمستواه ومستوانا .. انى لا اتوقع ان يصبح حاكما
لاستراليا .. ولكن اتساءل هل يجد الفرص التي
تناسب مواهبه .. ؟!

قالت عمتى :

- ليس هناك مكان أفضل من استراليا .. في
توفير فرص النجاح أمام مستر ميكابر .. !

وخرجنا .. وخرج مستر ميكابر معنا .. وبينما
كنا نجتاز ساحة السوق .. لاحظت أن مستر ميكابر
قد تقمص شخصية مزارع استرالي .. وأخذ يتفحص
قطعان الأغنام بعين خبيثة .. !

٤٠ - نهاية هيب

ذهبنا أنا وعمتي وأجنس إلى كانتربيري لنعرف نتائج التصفيّة التي قام بها ترادلز لأعمال مكتب « ويكتيفيلد وهيب » . وكانت عمتي تبدو في حالة غير طيبة . . . كانت شاحبة الوجه الذي ظهرت فيه خطوط حزن عميقة . . وكانت تبكي في بعض الأحيان ، وتحاول أن تغفر دموعها بيدها . .

وعندما اجتمعنا مع ترادلز . قال بجدية :

- لقد تحسنت أحوال مسّتر ويكتيفيلد . . وأصبح الآن قادرًا على المساعدة . . بل ساعدنا بالفعل في

ايضاح الكثير من البيانات المدونة بالدفاتر .. وقد انتهينا الان من وضع كل شيء في نصابه السليم .. وخلصنا الى كل النتائج .. وبالنسبة الى موقف مسـتر ويـكـيلـد فهو غير مدین لأحد .. وتبـقـتـ له بـضـعـ مـئـاتـ منـ الجـنيـهـاتـ يـسـتـطـيـعـ أـنـ يـوـاـصـلـ بـهاـ حـيـاتـهـ .. أـمـنـاـ بالـنـسـبـةـ لـمـ سـتـرـتوـودـ فـقـاطـعـتـهـ عـمـتـىـ زـ

ـ لو كنت قد خسرت جميع أموالـى ، فـانـىـ اـسـتـطـيـعـ أـنـ أـتـحـمـلـ ذـلـكـ .. وـاـذـاـ حدـثـ العـكـسـ فـسـوـفـ أـكـونـ مـسـرـورـةـ باـسـتـرـدـادـهـاـ ..

ـ لمـ نـجـدـ سـوـىـ خـمـسـةـ

ـ خـمـسـةـ جـنـيـهـاتـ .. . أـمـ خـمـسـةـ الـافـ ..

فـقـالـ تـرـادـلـزـ :

ـ خـمـسـةـ الـافـ جـنـيـهـ ..

فـقـالـتـ عـمـتـىـ فـرـحةـ :

ـ هـىـ كـلـ النـقـودـ اـذـنـ ..

ثم التفت اليها وقالت :

ـ عندما أبلغت باني قد خسرت كل اموالي
ظننت في البداية ان مسـتر ويـكـفـيلـد قد استـخدـمـها
وخرـسـرـهـا . . ثم خـدـعـنـى يـورـيـاهـ هـيـبـ وأـرـسـلـ إـلـىـ رسـالـةـ
يـقـولـ فـيـهاـ أنـ مـسـترـ ويـكـفـيلـدـ لـصـ . . وـانـهـ هوـ الذـىـ
استـولـىـ عـلـىـ اـمـوـالـىـ . . فـذـهـبـتـ إـلـيـهـ وزـرـتـهـ ذاتـ
صـبـاحـ . . وـاحـرـقـتـ رسـالـتـهـ أـمـامـهـ . . وـقـلـتـ لـهـ اذاـ كـانـ
بوـسـعـهـ أـنـ يـضـعـ الـأـمـورـ فـيـ نـصـابـهـ السـلـيمـ فـلـيـفـعـلـ .
وـالـأـ فـعـلـيـهـ أـنـ يـلـزـمـ الصـمتـ !

وبعد لحظة ، قـسـاءـلـتـ عـمـتـىـ :

ـ وـمـاـذاـ حـصـلـ بـالـنـسـبـةـ لـهـيـبـ . .

ـ لـاـ أـعـرـفـ . . فـقـدـ اـخـتـفـىـ . .

ـ وـالـآنـ . . مـاـذاـ سـيـفـعـ بـالـنـسـبـةـ لـمـسـترـ
مـيـكاـوـبـرـ . . ؟ !

فـقـالـ تـرـادـلـزـ :

ـ فـيـ الـحـقـيقـةـ أـنـ مـسـترـ مـيـكاـوـبـرـ يـسـتحقـ الـكـثـيرـ

من الشكر والثناء .. لقد كان في وسعه أن يحصل من يورياد هيب على مبلغ كبير من المال مقابل سكوته .. وقد وجدت أنه مدين بمبلغ مائة وثلاثة جنيهات وخمسة شلنات ..

فقالت عمتى موجهة حديثها إلى آجنس :

– آجنس يا عزيزتي .. ماذا سنعطيه ؟ .. هل نعطيه خمسمائة جنيه .. ؟ !

فقال ترادرلز :

– اعتقد أن من الأفضل أن نشتري له تذاكر السفر إلى استراليا بالإضافة إلى مبلغ صغير لتفطية نفقاته .. واستدعيانا مستر ومسن ميكابير إلى الحجرة .. وأخبرتهما عمتى بما قررناه ..

وقلت لمستر ميكابير :

– والآن أريد أن أنصحك .. لا تدع أحداً يفرضك نقوداً مرة أخرى !

فقال مستر ميكاويز :

ـ أبدا .. لن أفعل ذلك .. وسوف أكتب هذا
القسم على صفحة بيضاء في حياتي المستقبلة ..
وسيجعل ابني ويلكينز يتذكر دائمًا أن من الأفضل له
أن يضع يده في النار ، ولا يعدها إلى هذه المخلوقات ..
هؤلاء الذين يقرضون الغافر .. هؤلاء الذين سموه
ـ دم أبيه التعيس ..

١٤ - العاصفة

كنا في بداية المساء حين ركبت احدى العربات
اخذا طريقى الى يارموث . وقلت لسائق العربة وانا
ا苍مل السماء :

- الا تعتقد ان الجو غريب جدا ؟ .. لا اتذكر انى
شاهدت جوا مثل هذا من قبل ..

فقال سائق العربة :

- ولا انا يا سيدى .. فهذا الجو ينذر بهبوب
عاصفة شديدة .. وبالطبع سيثور البحر ويبيح
وستحدث بعض الحوادث ..

واشتد تلبد السماء بالغيوم والسحب .. بل
واخذت السحب المتطايرة تتراكم فوق بعضها كالجبال
الشامقة .. وكان القمر يبدو احيانا من بين فرجات
السحب وكأنه قد فقد طريقه وناه واصابه خوف
عارم ..

اما الرياح فقد اخذ هبوبها يشتد ويعنف لحظة بعد
اخرى .. وكانت تحدث اصواتا غريبة ومخيفة احيانا
بكل شيء ..

وكلما اوغل الليل كلما تكاثفت اطباق الظلام ..
وتراكمت جبال السحب وغطت السماء كلها واختفى
وجه القمر ..

وحينما اشتد هبوب الرياح أصبحت الغيل لا تقوى
على جر العربة .. وكانت تسير رؤوسها لتجنب
صفعات الرياح .. بل وكانت تتوقف في احيانا كثيرة
دون ان تقوى على مواصلة السير .. وأصبحنا نخشى
ان تقلب بنا العربة ..

وبالرغم من بداية ظهور تباشير الصباح ، الا ان

الرياح واصلت هبوبها العنيف وأصبحت أقوى من ذى
قبل .. لقد رأيت غواصف كثيرة ولكنى لم أشاهد
عاصفة مثل هذه ..

وصلنا متأخرین جداً الى ابسويش بعد أن صارعنا
الرياح طوال رحلة مرهقة .. ورأينا الناس قد تجمعوا
في ساحة السوق بعد أن غادروا بيوتهم خوفاً من سقوط
المداخن . وبينما كان سائق العربة يستبدل الخيول بخييل
آخر . سمعت الكثير من أخبار أسفاف البيوت التي
تطايرت وتحطمـت ، والأشجار الكبيرة والصغيرة التي
اقتلتـت وسقطـت على الأرض ..

وواصلنا الرحلة وسط هذه العاصفة العنيفة ..
والتي كانت تزداد عنـا وتدمـيرا كلـما مرـ الوقت واقترـبـنا
من ساحـل الـبحر الذي تهبـ منه كلـ هذه الـرياحـ التـائـرة ..
وبالرغمـ منـ أنـناـ كـناـ لمـ نـزلـ بـعـيـدـينـ عـنـ السـاحـلـ بـمـسـافـةـ
طـوـيـلةـ ، إلاـ أنـناـ اـحـسـنـاـ بـمـلـحـ الـبـحـرـ فـوقـ شـفـاهـناـ ..
وانـهـرـ مـطـرـ مـنـ المـاءـ المـالـحـ فـوقـ رـؤـوسـناـ ..

وعـندـماـ لـاحـ لـنـاـ سـاحـلـ الـبـحـرـ أـخـيـراـ .. سـمعـناـ

هدير الأمواج الصاخبة .. وهي تعلو فوق الشاطئ
كما لو كانت أبرا جا أو بنايات مرتفعة .

ورتبت اقامتى بفندق صغير قديم .. ثم خرجت
متوجهها صوب الشاطئ .. وهناك رأيت نصف سكان
المدينة متجمعين .. وكثيرا من النساء كن يبكين بسبب
عدم ظهور قوارب الصيد التى يعمل عليها ازواجهن
يداخل البحر .. وكان قدامى البحارة يهزون رؤوسهم
فى يأس وهم ينظرون الى كل من البحر والسماء ..
وكان ملاك السفن والقوارب ينظرون صوب البحر
وقد عصف بهم الاضطراب والقلق ..

وكاد الحصى والرمال المتطايرة أن يعمى عينى ..
وكاد هدير الموج أن يصم أذنى .. وكاد البحر أن يخرج
من شاطئه ليبتلع المدينة بمن فيها .. وفجأة أشار أحد
الملahin ، ورأيت .. ويالهول ما رأيت .. رأيت سفينة
تحطم والأمواج تهاجمها من كل جانب !

كان أحد صوارى السفينة قد تحطم ولكنه هازال
متعلقا بجانب السفينة ويتخبط فيها بقوة .. ورأيت

بعض الرجال على ظهر السفينة وهم يحاولون فصل
الصارى عن السفينة والقاءه فى البحر . . . ورأيت
بينهم رجلاً مجدد الشعر . . .

وفجأة سمعت صرخة مدوية أطلقها كل المتجمعين
على الشاطئ . . . صرخة غطت على هدير الموج وزفير
الرياح . . . لقد طفى البحر على حطام السفينة ، وقدف
بالصارى وبكل ما عليها من أشياء ومن عليها من
الرجال . . . في المياه الثائرة بكل عنف . . . والتي كانت
تبعد كما لو كانت تفور وتغلى . . .

وعندما انزاح الموج عن الحطام ، رأينا السفينة
وقد انكسرت في منتصفها . . . ورأينا أربعة من الرجال
مازالوا متعلقين بالصارى الثاني الذي ظل يتارجع
ويعلو ويهدأ مع كل موجة . . . ورأيت بين الرجال الأربعة
الرجل المجدد الشعر .

وكان هناك جرس ما زال معلقاً بالجزء المتبقى من
حطام السفينة . . . وكان يدق بعنف واضطراب كلما
هبت موجة تقرب العطام من الشاطئ ، وكلما انزاحت

موجة تبعد الحطام الى داخل البحر . . . كان دق الجرس أشبه بنذير الموت لهؤلاء الرجال التسعاء الذين مازالوا يكافحون ويحاولون التمسك بالحياة .

وهبت موجة عاتية وغطت الحطام كله . . . ثم انزاحت بعد أن أخذت معها اثنين من الرجال الأربع . . فصرخ كل المتجمعين على الشاطئ وولولوا . . وادرات النساء وجومهن وهن يصرخن ويبكين . . كما أخذ بعض الرجال يجررون ذهابا وجائحة على الشاطئ وهم يصرخون لطلب المساعدة . . ولكن أية مساعدة تلك التي يمكن أن يقدمها أحد في مثل هذه الأحوال ؟ !

كان من المستحيل تماما أن يرسل أى قارب للنجدة . . وكان من الجنون أن يسبح أحد ومعه حبل ليوصله بين الحطام والشاطئ . . ومع ذلك فقد رأيت بعض الرجال يستعدون لعمل شيء . . وكان هام في مقدمتهم .

رأيت في وجهه مزيجا من ملامح الحزن وملامح التصميم والعزم . . وفهمت أنه مقبل على مواجهة

أخطار قد يلقى فيها حتفه . . لذلك فقد اندفعت اليه وأحاطته بذراعي لكن امنعه من الاقدام على تلك المخاطرة . . وتوسلت الى الرجال المجتمعين حولى وحوله أن يعنوه من مغادرة الشاطئ . .

ثم ارتفعت صرخة عالية ، فنظرت صوب الحطام ، فرأيت جزءا من الشراع قد هوى وسقط في البحر . أخذها معه واحدا من الرجلين الباقيين . . ومكذا لم يصبح على الحطام الآن سوى رجل واحد ما زال متثبتا ببقايا الصاري . .

وهنا قال لي هام متосلا :

ـ مستر دافيد . . لو كان عمرى قد انتهى فهو قدرى المكتوب . . ليبارك الله . . دعنى اذهب !
ـ وأحضروا له حبلا طويلا ، ربط أوله حول خصره .
ـ وكان الحطام يعلو فوق قم جبال الموج ، ويحيط بعنف الى وديانها . . وكان الرجل الباقي عليه ما زال متثبتا بالصاري . . وكان يرتدى كابا أحمر غريب

الشكل ظل يلوح به كما لو كان يتسلينا لنجاته ..
وقد ذكرنى هذا الكاب الأحمر بصديق قديم كان يرتدى
مثله ..

نظر هام الى البحر .. وعندما انحسرت موجة
كبيرة عاتية ، أخذ يجرى وراءها .. وفي لحظة واحدة
أصبح هام يصارع الأمواج .. يعلو فوق قممها ويهبط
مع وديانها .. ثم قذفته موجة قوية نحو الشاطئ ،
فجذبه الرجال نحو الرمال ..

كان من الواضح أنه أصيب .. ورأيت الدماء
تغطى وجهه .. ولكنه لم يهتم بذلك بل وطلب من الرجال
أن يرخوا العجل ليتيحوا له مزيداً من الحرية للتوغل
إلى داخل البحر حتى يصل إلى العطام لينفذ الرجل ..
ثم قذف نفسه بين أحضان الموج مرة أخرى ..

أخذ يسبح نحو العطام بكل قواه .. وكنا نراه
يعلو ويهبط مع حركة الموج .. وما كاد أن يصل إلى
موقع العطام ويمسك به ، حتى رأينا موجه خضراء
عالمة كالجبل ، جاءت من خلف العطام وارتقت

فوقه . . وفي لمع البصر غاص الطعام في اعمق البحر .

تكلف الرجال وأخذوا يسحرون الجبل . . . وفي لحظات وصل هام مسعوباً إلى الشاطئ . . . وكان جثة هامدة . . . لقد لطمته الموجة الخضراء بضررية قاتلة أطاحت بعياته بكل الشجاعة التي كانت تملأ قلبه . . . وحملناه إلى منزل قريب وبقيت إلى جواره ، وعالي مفعم بكل الذكريات التي عرفتها عن هذا الرجل الطيب الشجاع .

وبينما كنت جالسا بجوار سرير هذا الفقيد العزيز ، سمعت طرقا على الباب ، ودخل أحد الصيادين يناديني باسمي :

- هل لخط البحر جثة أخرى .. ؟

- نعم يا سيدى ..

- وهل من شخص اعرفه ؟ ..

ولم يجب الرجل بكلمة .. وقائفى متأنثاً نصر الشاطئ حتى وصلنا الى نفس المكان الذى كنا - أنا وأميلى - نجتمع فيه الواقع .. وهناك بين أطلال البيت القديم الذى أسماء الى أهله ، رأيته صعدا على الأرض ، وراسه مسنودة على فراشه .. تماماً مثلما كان يفعل أيام المدرسة .. كانت الجنة لصديقى القديم .. ستيرفورث !!

وطافت بخاطرى نكري آخر لقاء معه .. وتنذرت بوضوح آخر كلماته : « اذا فرقت بيننا الظروف .. فارجو ان تذكر حسناتى ! » ..

وهذا ما سوف احافظ عليه الى الأبد ! ..

٤٢ - ابلاغ الخبر الى مسز ستيرفورث

وصلت قرب الظهر الى هاى جيت . وفتحت لى خادمة صفيرة باب البيت . سالتها :

- انى احمل اخبارا سيئة الى مسز ستيرفورث .
هل هي موجودة الان ؟

في هذه اللحظة كانت الأم موجودة في غرفة ابنتها . وبجانبها كانت تقف روزا دارتل . وتساءلت الأم في قلق :

- هل هو مريض ؟ . . هل رأيته ؟ . . هل عدتها اصدقاء كما كنتما من قبل ؟ . .

فهمست بصوت حزين :

- لقد مات !!

فصاحت الأم :

- روزا .. الحسيني !

ـ فلحتها روزا على الفور .. ولكن بدون شفقة ولا رحمة .. وكانت عيناهما تتوجهان بشرر كالنار ، وصرخت فيها قائلة :

- والآن .. هل ارتحت .. هل أرضيت غرورك وفخرك بابنك .. أيتها المرأة المجنونة ..!

ارتمت مسر ستيروفورث على مقعدها تحملق فيها عينين مفتوحتين عن آخرهما .. وواصلت مس دارتل صراخها الملائع ، وهي تدق بيديها على صدرها ، وتشير الى نسبة الجرح الظاهرة في وجهها :

- انظري ماذا فعله ابنك في وجهي .. ثم نوحى بعد ذلك ولو لولى .. أيتها الأم الفخورة بولدهما

الشّرير ! .. انت التي دفعته الى طريق الشر والضياع ..
كنت احبه اكثر منك .. احبه دون مقابل ودون امل او
رجاء .. وأحبني هو عندما كان بريئاً وصادقاً مع
نفسه .. وبعد ذلك أصبحت مجرد العوبية يلهمو بها
كلما وجد ساعة فراغ يرى ان يقضيها في اللذة
والمتعة .. كان يسحبني الى هنا او الى الطابق العلوي
ويلهم بي وفق هواه .. لقد أصبحت بالنسبة لاما
انتما الاثنين مجرد شيء مكسور لافائدة فيه وعديم
القيمة !!

قلت استغطفها وأحاول ان اهدى روعها :

- مس دارتيل .. ارجو ان تقدري شعور واحزان
ام فقدت ابفها الوحيد .. !!

صرخت قائلة :

- ومن ذا الذي يقدر شعوري واحزاني ؟ !
- ولكن في مثل هذه اللحظة يجب ان تنسى كل
الاساءات .. يجب ان تمدی يدك لمعونة الأم الثكلى
في تحمل احزانها .. !!

ولكن مسرز ستيرفورث كانت جالسة على مقعدها دون حركة . . . كانت جامدة كتمثال نحت من الحجر . . . وبسادات مس روزا دارتل تفلت بعض الأزرار وتحذف أربطة ملابس الأم لتساعدها على التنفس . . . والتنفس إلى وصرخت في وجهي :

— عليه اللعنة . . . كانت ساعة شر سوداء حين جئتنا في هذا البيت . . . عليك اللعنة . . . ميا اخرج من هنا !! . . .

واخذت مسرز ستيرفورث بين ذراعيها . . . تقبلها تارة ، وتنابيعها باسمها تارة أخرى . . . وتحاول بكل طريقة أن تفيقها من غشيتها . . . أو تعيد إليها انفاس الحياة . . .

٣) - وأقلعت السفينة

ذهبت أنا وبيجوتي - مربيني العجوز المخلصة -
إلى جريفسند لتوديع عائلة ميكابر المهاجرة إلى
استراليا . . وكان مسفر بيجوتي قد انتوى الهجرة
أيضاً واستعد للرحيل على نفس السفينة .

وعندما وصلنا إلى الرصيف ، رأيت أبناء مستر
ميكابر وهم يتعلقون بذراعي أجنس حتى آخر لحظة . .
وأخذنا قارباً صغيراً اتجهنا به صوب السفينة التي
كانت تقف بعيدة عن الرصيف . .

واستقبلنا مسٌٰتر بيوجوٰى الذى كان يقف على سطح السفينة بجوار السور .. وقال لنا أن مسٌٰتر ميكابر قد قبض عليه منذ لحظة الوفاء بدين لأحد الدائنين .. ولكنه استطاع أن يدفع مبلغ الدين فاطلق سراحه .

وفي مكان منزوٰ قریب على سطح السفينة لمح امیلی جالسة مع ابناء مسٌٰتر ميكابر .. ورأیت اجنس تحیيها وتودعها بقبلة ! .. كما رأیت مسر جاميدج وهي ترتب حاجيات مسٌٰتر بيوجوٰى بمعاونة بعض الشابات الصغيرات .

ونودى على كل المودعين والزوار بأن يغادروا السفينة بعد أن حل وقت الرحيل .. وقامت بتوديع المهاجرين الوداع الأخير .. وكانت بيوجوٰى تبكي وهي متعلقة بذراعي ..

ونزلنا الى القارب الذى عاد بنا الى الرصيف ..

وكانَت أشعة الشمس الغاربة تنعكس في جمال رائع
 فوق صفة المياه الهاينة . .

وساد الصمت لحظة . . ثم فردت السفينة قلوعها
 وأشرعتها في مواجهة الريح . . وبدأت تتحرك ببطء
 صوب البحر الواسع العريض .

٤٤ - الفصل الأخير

سافرت بعد ذلك في رحلة طويلة زرت فيها إيطاليا
وفرنسا وسويسرا .. ثم عدت إلى الوطن ..

توجهت فوراً إلى بيت عمتي في دوفر حيث
استقبلتني هي ومسنر يك وبيجونى التي أصبحت الآن
مديرة للمotel .. استقبلوني جميعاً بفرح عظيم والدموع
ترقق في عيونهم ..

وظلت أتحدث مع عمتى حتى الليل .. وفيما
سألتني عمتى :

- متى ستتسافر إلى كاتربيري ؟

فاجبتها :

- سأسافر صباح الغد ..

وجلست صامتاً مستترقاً في التفكير العميق وأنا
أحملق في نار المدفأة .. كنت أشعر بالأسف والحزن
بسبب ما فشلت في معرفته والإحساس به والتنبه إليه
في أيام صباي الماضية ..

وخيال إلى أنني أسمع صوت عمقى وهي تعقب على
نائلة :

- أوه ياتروت .. أنت أعمى .. أعمى ..
أعمى ..

ثم قالت عمي وكأنها تفهم مشاعرى وتحس بما
يدور في نفس وقلبي :

- اذهب إليها .. ستجد أباها وقد خط الشيب شعر
رأسه .. وستجدها جميلة متألقة .. كريمة غير أناانية
كما كانت دائماً ..

فَسَالَتْ عُمْتِي مُتَرِيدًا :

- هل لآجنس

- لها مازا ؟ . . .

- عاشق يحبها !؟ . . .

فَصَاحَتْ عُمْتِي :

- لها عشرون . . . كان في امكانها ان تتزوج
عشرين مرة !!

- ولكن هل بينهم عاشق جدير بها ويستحقها . .
وهل هي تحب احدا بعينه . . ؟ !

فَقَاتِلَتْ عُمْتِي مُتَنَاهِدَةً :

- اعتقد أنها تحب واحدا بعينه . . . هي لم تخبرني
بأى شيء عن حبها . . ولكنى اعتقد ذلك . . !

وفي الصباح الباكر وصلت الى كانتربيري . .
وفتحت لى الباب خادمة جديدة لا تعرفنى . . قلت لها :

- اخبارى مس ويكفيلد ان ضيفها وصل ويريد ان
پراها . .

وبعد قليل فتح باب الحجرة ودخلت اجنس بكل جمالها ووداعه عينيها . واتجهت نحوه وهي تتضع يدها على قلبها من وقع المفاجأة . قلت لها :

- اجنس يا عزيزتي .. أرجو ان تكون مفاجأة طيبة لك ان تريني هنا ..

- انى فى غاية السرور لرؤيتك ياتروتورد !

وجلسنا جنبا الى جنب .. كانت صادقة كما كانت ابدا .. جميلة .. وطيبة .. وحاولت ان اشكرها على كل ما صنعته فى الماضى من اجلى .. وقلت لها فى النهاية :

- والآن يا اجنس .. اخبرينى عن نفسك ..

فقالت بهدوئها المعتاد :

- ماذا اخبرك به ؟ .. ان ابى فى حالة طيبة ..
وها انت ترانا نعيش فى بيت ملكنا ! .. يد، و انت تفك
فى شيء ما ياتروتورد ..
وقلت لها :



اجنس و دا لیده .

- أجنـس .. دعـينـى أقولـ الآنـ ماـ أـفـكـرـ فـيـه .. لـقـدـ
جـئـتـ لـأـخـبـرـكـ بـأـنـىـ عـلـمـتـ أـنـكـ تـحـبـينـ شـخـصـاـ مـا ..
وـأـرـجـوـ أـلـاـ تـخـفـىـ عـنـىـ أـىـ شـشـىـ يـتـعـلـقـ بـسـعـادـتـكـ
الـقـرـيبـةـ .. مـنـ هـوـ ذـلـكـ الشـخـصـ .. أـخـبـرـينـىـ بـاسـمـهـ
إـذـاـ كـنـتـ مـازـلـتـ تـثـقـيـنـ بـىـ ..

وـفـجـاءـ ،ـ هـبـتـ أـجـنـسـ وـاقـفـةـ وـهـىـ تـخـفـىـ وـجـهـهاـ
بـيـدـيهـاـ وـانـفـجـرـتـ فـىـ الـبـكـاءـ بـدـمـعـ غـزـيرـ فـاضـ مـنـ
عـيـنـيهـاـ .. وـكـادـ قـلـبـىـ أـنـ يـقـعـقـ وـاـنـاـ اـسـالـهـاـ فـىـ حـيـرةـ
وـلـوـعـةـ :

- أـجـنـسـ يـاـ عـزـيزـتـىـ .. مـاـذـاـ فـعـلـتـ حـتـىـ تـبـكـىـ هـذـاـ
الـبـكـاءـ كـلـهـ ١٩٠٠

فـقـالـتـ وـقـدـ اـزـدـادـ بـكـاؤـهـاـ وـانـهـمـارـ الدـمـوعـ مـنـ
عـيـنـيهـاـ :

- أـرـجـوـكـ يـاـ تـرـوـتـرـوـهـ .. دـعـنـىـ أـذـهـبـ الـآنـ ..
أـنـىـ لـسـتـ فـىـ حـالـةـ طـيـيـةـ .. وـسـوـفـ نـتـحـدـثـ عـنـ ذـلـكـ
فـيـمـاـ بـعـدـ ! ..

وأخذتها بين نراعي وهمست :

- أجنس يا حبي . . انت أملى . . وانت خير عنون
في حياتى . . !

وارتاحت آجنس على صدرى . . قريبة من قلبي . .
ووضعت يدها الرقيقة على كتفى . . وتلاالت عيناما
من وراء الدمع بنظرات حلوة حنون . .

وقلت لها بكل الصدق :

- في أي مكان كنت اذهب اليه ياً جنس كنت
أشعر بدبب حبك في قلبي . . لقد سافرت بعيدا لأنى
أحبك . . وعدت الآن إليك لأنى أحبك أكثر وأكثر . .

وضعت كلتا يديها الرقيقتين على كتفى . . ونظرت
إلى بوجهها الهداء الجميل الرائق . . وقالت :

- هناك شيء أريد أن أخبرك به . .

- ما هو يا حبيبتي ؟ . . أخبريني !!

- لقد أحببتك طوال حياتى . . !!

وفي خلال أسبوعين تم عقد قرانا، ولم يكن ثمة أنس في زواجهما
الهادئ غير ترادلس والدكتور سترونغ، وكنا نرکناهما والبهجة تملأ
صدريهما، وسرت وإياها في سيلنا. قالت آغنيس «يا زوجي العزيز،

أما الآن، وقد غدا في وسعي أن أدعوك بهذا الاسم، فقد بقى شيء آخر
أود أن أخبرك به!».

«دعيني أسمعه يا حبيبي!».

فقالت «إنه يعود إلى تلك الليلة، عندما توفيت دورا، وقد بعثت بك
إليه!».

«أجل، لقد فعلت ذلك!».

«قالت لي إنها تركت لي شيئاً ما! هل في وسعك أن تقدر ما هو هذا
الشيء؟!».

كنت أعتقد أنني أستطيع أن أقدر ما هو، وسحبت زوجتي التي
أحببتني كل هذه المدة الطويلة، وقربتها مني، واستمرت هي تقول «القد
قالت لي إنها تقدم إلي بالتماس آخر، وتترك بين يديّ عهداً أخيراً...»
فقلت: «وقد كان...!».

أجابت: «بأنني أنا وحدي التي يسعني أن أملأ هذا المكان
الشاغر...!».

وألقت آغنيس برأسها فوق صدرِي وراحت تتحبّب، وشرعت أنا
أتحبّ أيضاً، مع أننا كنا سعيدين جداً.

*

والآن تنتهي روايتي التي أكتب؛ وأنظر إلى الوراء مرة أخرى
وآخرة... قبل أن أنهي الصفحة الأخيرة؛ فأرى نفسي، وأغنيس إلى
جانبي، أقوم برحلاة على طريق الحياة، وأرى أطفالى وأصدقائي يتلفون
من حولنا، وأسمع هدير أصوات عديدة لا تختلف بالنسبة إلى وأنا
أستمر في رحلتى.

ثُرِي! أي وجه هي أوضع ما تكون إلى وسط هذا الحشد الفانى؟
ها هي ذي! جميعها تحول إلى فيما أطرح أنا هذا السؤال على ذاتي.
ها هي عمتى، تضع على عينيها نظارة سميكه، وقد أصبحت عجوزاً،

تجاوز الشهرين، ولكنها لا تزال مستقيمة القامة، تسير مسافة ستة أميال في أيام الشتاء. وإلى جانبها تبرز بیغوتی دائمًا، مربطي الطية، القديمة، وهي ترتدي نظارة مثل نظارة عمتی، وقد اعتادت أن تقوم بأشغال الإبرة في أثناء الليل، وهي قريبة جداً من المصباح، ولكنها لم تكن تجلس إلى عملها فقط دون قطعة صغيرة من الشمع، «ومازورة» في حق صغير، وصندوق عملها الصغير، وعلى غطائه صورة القدس بولس.

وثمة شيء ضخم يقع دائمًا في جيب بیغوتی، وليس هو شيء أصغر من كتاب التماسيع، الذي أصبح في حالة يرثى لها الآن، فقد انسلاخت أوراقه وأعيدت إليه بوساطة الخيط والإبرة؛ ولكن بیغوتی كانت تعرضه على الأولاد وكأنه ترکة ثمينة. وقد وجدت أنه من الغرابة، حفأً، أن أرى طفلي ينظر إلى من خلال قصص التماسيع.

وفي أثناء عطلة هذا الصيف، أرى رجلاً مسنًا بين أطفال يصنع لهم طائرات ورقية عملاقة، ويحدق إليها وهي ترفرف في الجو بفرح كبير،

حيث لم نكن عليها أي كلمات، ويحيني بطريقة تذهب العقل، ويهمس
وهو يهز رأسه ويغمز بعينه عدة مرات: «ستسر يا ترونوود عندما تسمع
أني سأنتهي من مذكراتي حيث لا يعود عندي أي شيء آخر لأقوم به،
وأن عمتلك لهي امرأة تفوق جميع نساء العالم طيبة، وفطنة يا سيد يا».
والآن ها أنا أنهى عملي، وتغيب جميع هذه الوجوه، ولكن وجهاً
واحداً يبقى، يبقى دون أن يغيب عنـي. وأدبر رأسي وأراه إلى جانبي في
صفائه المبهر. وينوص مصباحي وقد سُرّدت صفحات طويلة حتى
ساعة متأخرة من الليل، ولكن وجودها العزيز، الذي بدونه لما كنت أنا
أي شيء، كان دائمًا يصاحبـني.

آه يا آغليس، هكذا سيقـي وجهك بقربـي عندما أنتـهي من حـياتـي
فعلاً، وهكذا قد أجـدك لا تزالـين بـصاحـبني، فيما الحقـائق تـفرـ منـي،
كـالظـلال التي أـطـرـدهـاـ الآن، وـأـنـتـ تـشـيرـينـ بيـديـكـ إـلـىـ الأـعـلـىـ.